سياسة مملكة بيت المقدس الخارجية تجاه البابوية وبيزنطة, والغرب الأوربي, والإمارات الصليبية خلال عهد الملك بلدوين الرابع (1174– 1185م)

د/ ياسر كامل محمود أحمد
كلية الآداب– جامعة أسيوط

obeikandl.com

سياسة مملكة بيت المقدس الخارجية تجاه البابوية, وبيزنطة, والغرب الأوربي, والإمارات الصليبية خلال عهد الملك بلدوين الرابع(1174– 1185م)

يتناول هذا الفصل السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الرابع تجاه القوى الخارجية كالبابوية، وبيزنطة، والغرب الأوروبي, وبقية الإمارات الصليبية, ويناقش الفصل مدى تأثر المملكة بهذه السياسة سواء بالسلب أو الإيجاب.

الواقع أن مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الرابع شهدت تراجعاً واضحاً في إقبال الغرب الأوربي على تقديم المساعدات لها، وذلك لعدة أسباب منها: النزاعات والمحن التي مرت بها المملكة الصليبية، بالإضافة إلى ذلك فإن المملكة خلال فترة حكم بلدوين الرابع لم تعد يُنظر إليها بأنها أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً، كذلك فإن الامتيازات التي كانت تُمنح للقادمين من الغرب تقلصت في عهد بلدوين الرابع(1). بالإضافة إلي انشغال الغرب الأوربي بنزاعاته. ولما كان بقاء المملكة الصليبية في الشرق مرهوناً بالمساعدات الخارجية التي كانت تأتي من الغرب الأوروبي، فقد تركزت معظم سياسة بلدوين الرابع الخارجية في محاولة إقامة علاقات وتحالفات مع قادة وهيئات الغرب الأوربي وفي مقدمتها البابوية من أجل الحفاظ على المملكة الصليبية.

في بداية الحركة الصليبية، وُصفت العلاقة بين مملكة بيت المقدس والبابوية بأنها علاقة قوية وذلك لعدة اعتبارات أولها: أن مملكة بيت المقدس وغيرها من الكيانات الصليبية تأسست بدعوة من البابوية وبمباركتها(2)،وثانيها أن المملكة كانت شديدة الارتباط بالكنيسة, لهذا لم يعترف ملوك بيت المقدس لأحد بالسلطة سوى للبابوية التى وجهت الجيوش وتحملت مسئولية إقامة مملكة صليبية في الشرق(3). ولكن هذه العلاقة لم تلبث أن أصابها بعض الفتور عقب فشل الحملة الصليبية الثانية (1147– 1149م)، حيث

صارت المملكة عبئاً ثقيلاً يرهق كاهل البابوية(4) .

وقد ظهر ذلك بوضوح أثناء فترة بابوية اسكندر الثالث (7سبتمبر 1159-30 أغسطس 1181م) والذي ألقيت على عاتقه مهمة مساعدة المملكة الصليبية في الشرق اللاتيني, والواقع أن مهمة البابا تلك لم تكن بسيطة وسهلة، حيث كان ميراث الحملة الصليبية الثانية لا يزال يُلقي بظلاله المعتمة على المملكة الصليبية(5).

ثم لم تلبث البابوية أن انشغلت بنزاعها مع الإمبراطورية حول التقليد العلماني، وقد اشتد هذا النزاع بين البابا إسكندر الثالث وفردريك الأول بربروسا (Fredrick I Barbarossa إمبراطور ألمانيا1152 - 1190م) حيث رفض الإمبراطور فردريك الاعتراف ببابوية اسكندر الثالث، وقد انشغلت البابوية في هذا النزاع طيلة الفترة من عام 1159م وحتى عام 1177م, مما جعل الأمور في الغرب الأوربي تزداد تعقيداً(6)، وقد أعاق هذا الأمر البابا اسكندر الثالث في الدعوة لحملة صليبية جديدة لإنقاذ مملكة بيت المقدس ومساعدة ملكها بلدوين الرابع من هجمات المسلمين(7).

وعلي الرغم من انشغال البابا اسكندر الثالث بمشاكله، إلا أن ذلك لم يمنعه أن يتابع سير الأوضاع في المملكة الصليبية، حيث أبدى البابا قلقاً متزايداً بشأن الحالة السيئة التي تعيشها المملكة الصليبية، ومن ثم طلب البابا من أرنولد من تورجا Arnold of Toroga مقدم الداوية أن يقدم له تقارير موثقة ومستقلة حول أوضاع المملكة الصليبية، وملكها المريض بلدوين الرابع .(8)

من خلال هذه التقارير علم البابا اسكندر الثالث في سنة 1174م أن مملكة بيت المقدس، صارت في حالة سيئة، ومهددة بالانهيار بسبب النزاعات التي ثارت فى المملكة من أجل الوصول إلى منصب الوصاية(9)، ورغم ذلك بدت هناك بادرة أمل لإنقاذ المملكة الصليبية، تمثلت في محاولة البابا اسكندر الثالث عقد صلح بين لويس السابع ملك فرنسا ونظيره هنري الثاني ملك انجلترا. لهذا أرسل البابا مندوبه الكاردينال بيترأوف سان جريسوجونو Peter of San Grisogono لمحاولة عقد صلح بين

هـذين العـاهلين الكبـيرين، وإقناعهمـا بـأن عـداوتهما هـذه مـن شـأنها أن تضر ببقاء المملكة الصليبية فى الشرق(10)

وفي نهاية الأمر؛ نجح البابا في مساعيه، حيث تم التصالح بين ملكي فرنسا وإنجلترا،وبمبادرة من البابوية عقد الملكان معاهدة فى الخامس والعشرين من أغسطس عام 1177م اتفقا فيها على القيام بحملة صليبية مشتركة ضد المسلمين ومساعدة الملك بلدوين الرابع(11). ولكن لأسباب سيفصلها الباحث في موضعها، لم يخرج هذين العاهلين الكبيرين في حملة لمساعدة المملكة الصليبية.

إزاء ذلك واصل البابا إسكندر الثالث توجيه نداءاته المتكررة لحث ملوك وأمراء الغرب الأوربي على القيام بحملة صليبية لإنقاذ مملكة بيت المقدس المتدهورة، إلا أن الرأي العام الغربي لم يبد اهتماماً يذكر لهذه النداءات(12) ولم يلب دعوة البابا غير فيليب كونت فلاندرز،فهو الأمير الوحيد الذي قام بحملة لمساعدة المملكة الصليبية وملكها المجذوم سنة 1177م(13)والتي عرفت بالحملة الفلمنكية(14) .

وبهذا لم تتلق البابوية رداً مطمئناً من الغرب الأوربي لاستنجادها المتكرر، والواضح أن السبب في فتور ملوك وأمراء الغرب الأوربي كان مبعثه هذا الوضع الحرج الذى كانت تعانيه البابوية آنذاك في الغرب الأوربي .

من جانبه لم يكف الملك بلدوين الرابع عن محاولة الحصول على المساعدة من البابوية. ولذلك فى سنة 1179م أرسل الملك بلدوين الرابع عدداً من رجال الدين على رأسهم وليم الصوري رئيس أساقفة صور للمشاركة فى مجمع اللاتيران الثالث Third Lateran Council الذي عقده البابا اسكندر الثالث في التاسع والعشرين من مارس سنة 1179م (15)، ودون أن نخوض في تفاصيل هذا المجمع، فإن ما يهمنا فيه أن السفارة الصليبية عرضت على المجمع باستفاضة الخطر الكبير الذي يتهدد المملكة الصليبية، بعد تدهور أحوال الملك بلدوين الرابع الصحية، لذلك خص مجمع اللاتيران الثالث المملكة الصليبية بعدة قرارات، أهمها القرار الخامس والعشرين والذي نص على إصدار قرار الحرمان

الكنسي، ومصادرة الأملاك والحرمان الشخصي لكل من يزود المسلمين بالأسلحة،ولوازم القتال كالخشب الذي تصنع منه السفن الحربية، كما طالب المجمع أمراء المقاطعات الأوربية وكذلك قناصل الدول في الشرق بمصادرة ممتلكات من يقوم بهذا العمل وأن يعمل معاملة العبيد، وهو ما يعنى تحريم التجارة مع المسلمين, وبخاصة فى أدوات الحرب(16).

في الواقع لا نعرف فيما إذا كان أعضاء الوفد الصليبي- الذي حضر المجمع – هم الذين دفعوا البابا اسكندر الثالث إلى اتخاذ ذلك القرار، أم الجنوية الذين وقعوا معاهدة مع بلدوين الرابع سنة 1177م، واشترطوا عليه أن يكون لهم ثلث إيراد مصر في حالة الاستيلاء عليها، ورداً على هذه المعاهدة وقع البنادقة معاهدة تجارية مع صلاح الدين الذي منحهم حقوقاً وامتيازات في مصر في سنة 1177م (17)، على أن الأهم من ذلك هو أنه لم تنظم أية مساعدة عسكرية لمملكة بيت المقدس(18).

فعلى الرغم من قرارات البابوية المتشددة في وقف تعامل الصليبيين مع المسلمين إلا أن حب الربح الوفير حمل شعوب أوربا على مخالفة قرارات البابا، فكانوا يتاجرون مع المسلمين في صنوف التجارة بما فيها أدوات القتال والحرب مستخدمين كل الأساليب والحيل التجارية لإيصال بضائعهم سراً إلى الشرق الإسلامي وكانوا يعودون إلى مدنهم وهم مرتاحين الضمير حسب تعبير مارينو سانوتو(19).

ومع ذلك لم تتوقف دعوات البابا اسكندر الثالث عند هذه المحاولة بل واصل نشاطاته فى الدعوة إلى حملة صليبية إلى الشرق، وظهر ذلك من خلال خطابه المؤرخ بالسادس عشر من يناير1181م, حيث وجه منشوراً كبيراً إلى زعماء الغرب الأوربي وبخاصة الأمراء العلمانيين, ناشدهم بإعداد حملة لإنقاذ المملكة الصليبية(20).،وفى هذا المنشور أشار البابا إلى الأخبار التي وصلته من مملكة بيت المقدس من خلال التقرير المشترك للحجاج المسافرين،والذي جاء فيه: "لقد أزعج قلبنا، وقلب أخوتنا ما آل إليه وضع مملكة بيت المقدس من سوء بسبب النزاعات والصراعات التي تنشب بين نبلاء المملكة.. ونحن يساورنا القلق أن تؤدي هذه النزاعات إلى سقوط المملكة في يد الأعداء(21).

وعلى الرغم من سوء حالة المملكة الصليبية فإن البعض يرى أن الذي أزعج البابا اسكندر الثالث ليس الانقسامات التي أصابت المملكة، ولكن حالة الملك بلدوين الرابع الصحية ويتبين ذلك من خلال رسالة البابا اسكندر الثالث والتي جاء فيها: "أن الملك بلدوين الرابع ليس مثل هذا الرجل الذي يمكنه أن يحكم المملكة، فهو مصاب بشدة بمرض عضال من قبل الرب، كما نعتقد أنه بالكاد قادر على تحمل العذاب المستمر في جسمه(22).

على الرغم من أن رسالة اسكندر الثالث السابقة لا تخلو من تجريح في قدرة بلدوين الرابع على الحكم، إلا أن ذلك لم يثن الملك بلدوين الرابع عن تكرار طلب المساعدة من البابوية مرة أخرى. حيث أرسل الملك بلدوين الرابع في أواخر سنة 1181م وفداً خاصاً رفيع المستوى لإبلاغ البابوية، والغرب الأوربي بخطورة الموقف داخل المملكة، وكان هذا الوفد تحت رئاسة هرقل بطريرك بيت المقدس، وأرنولد من تورجا Arnold of Toroga مقدم الداوية وروجر من مولينيه مقدم الإسبتارية، في ذلك الوقت كان قد مات البابا اسكندر الثالث في أغسطس 1181م، وقابل هذا الوفد البابا الجديد لوسيوس الثالث(1181-1185م) فى فيرونا)Verona (23).

ورداً على طلب المساعدة الذي تقدم به الصليبيون سنة 1181م, قام البابا لوسيوس الثالث بإرسال رسالة إلى هنري الثاني ملك انجلترا, يطلب منه ضرورة الإسراع لإنقاذ مملكة بيت المقدس، التي باتت على وشك السقوط في يد صلاح الدين(24)، لكن الملك هنري الثاني رفض العرض متعللاً بخطورة الموقف في بلده انجلترا(25) .

ولما أيقنت البابوية بعدم خروج حملة صليبية لمساعدة الملك بلدوين الرابع ومملكته،بدأت البابوية تعيد جدولة مخططاتها العسكرية الاستعمارية والتحول إلى الدبلوماسية في تنفيذ فكرة الحروب الصليبية،لعلها تحافظ على الوجود الصليبي في بلاد الشام عامة وفى مملكة بيت المقدس بصفة خاصة، لذلك لم تجد البابوية غضاضة في الاتصال مع حكام مصر وبلاد الشام الأيوبيين، وكان البابا لوسيوس الثالث أول الباباوات الذين اتصلوا بصلاح الدين

الأيوبي, بعد أن أدرك مدى خطورة توحيد الجبهة الإسلامية في مصر وبلاد الشام على الكيان الصليبي في المنطقة, وبخاصة أن البابوية لم تكن قادرة آنذاك على إرسال حملة صليبية جديدة(26) ولذلك أرسل البابا لوسيوس الثالث عام 1182م رسالة إلى العادل سيف الدين الأيوبي شقيق صلاح الدين الأيوبي ونائبه في مصر, وفيها طلب البابا من العادل عقد هدنة سلام بين مملكة بيت المقدس وبين مصر يتم فيها إطلاق سراح الأسرى الصليبيين وبخاصة أسرى مملكة بيت المقدس، ورد العادل على البابا برسالة مماثلة في الحادي والثلاثين من مارس سنة 1183م وأخبره بأنه تلقى رسالته، وأنه عرض على صلاح الدين إطلاق الأسرى الصليبيين، وأن صلاح الدين وافق على هذا المطلب بشرط أن يخضع المسيحيون في القدس وصور لأوامر البابا وبخاصة إقامة السلام, وإطلاق سراح أسرى المسلمين الموجودين في السجون الصليبية،وفي ختام الرسالة ذكر العادل أنه إذا لم يطع الصليبيين أوامر البابا بخصوص السلام،فإن صلاح الدين غير مسئول عما يحدث بعد ذلك "أما إذا خالفكم المسيحيون, ولم يطيعوا أوامركم, فنحن أبرياء من كل إجراء نقوم به معهم لإحلال العدل وليعطي الله كل منا حسب أعماله "(27).

كما أرسل البابا لوسيوس الثالث رسالة إلى صلاح الدين طلب فيها ضرورة تبادل الأسرى،ورد صلاح الدين على البابا برسالة سنة 1183م ذكر له فيها أنه سعيد بتحقيق السلام، وتبادل الأسرى بين الصليبيين والمسلمين, وأضاف صلاح الدين أن الأسرى الصليبيين عند المسلمين هم من النبلاء أما أسرى المسلمين هم من طبقة العامة، وأن الذي عنده أسرى أقل قيمة يعوض الطرف الآخر(28).

المرجح أن صلاح الدين وافق على عقد هذه الهدنة تجنباً لأي رد فعل بابوي يتمثل بالدعوة لقيام حملة صليبية جديدة تعرقل سير مخطط صلاح الدين في توحيد الجبهة الصليبية(29).

أما الملك بلدوين الرابع فقد بعث برسالة إلى البابا لوسيوس الثالث وجميع ملوك وأمراء الغرب الأوربي في سنة 1184م يخبرهم فيها أن صلاح الدين قد هاجم حدود مملكة

بيت المقدس خلال التاسع أو العاشر من شهر يوليو من العام نفسه ولمدة ثلاثة أسابيع متواصلة, وأنه تمكن من الاستيلاء على حصن فوربيليه, وأنه اتجه بعد ذلك إلى يزرعيل وقتل من بها, وأسر الكثيرين أيضاً, وأنه هاجم قلعة الداوية التي تسمى بلفوار Belverium وأسر من بها(30) .

ردت البابوية على رسالة الملك بلدوين الرابع بأن فرض البابا لوسيوس الثالث ضريبة على الكهنة لإعداد المال اللازم للقيام بحملة صليبية لمساعدة الملك المجذوم ومملكته المنهارة, غير أن هذا المشروع لم يتم في حياة الملك بلدوين الرابع(31). وبعد فرض هذه الضريبة انشغل البابا لوسيوس بشؤون إيطاليا, ولم يبد أي اهتمام لمملكة بيت المقدس ولا لملكها بلدوين الرابع(32). وهكذا لم تستطع البابوية لعب دور حاسم تجاه المملكة خلال عهد الملك بلدوين الرابع مقارنة بالدور الذي لعبته قبل عهد بلدوين الرابع, ومن بعده أيضاً.

فيما يتعلق بعلاقة المملكة ببيزنطة, فوسط عجز البابوية عن إرسال حملة صليبية لإنقاذ المملكة الصليبية, أدرك الملك بلدوين الرابع أن البابوية لن تقدم له المساعدةِ المرجوة لهذا بدأ في البحث عن حلفاء آخرين، والبديل الطبيعي كان الإمبراطوريةَ البيزنطية، القوَّة المسيحية الأكبر في شرق البحر الأبيض المتوسط(33)، وسعى الملك بلدوين الرابع لالتماس مساعدتها في وقف هجمات المسلمين فى هذا الوقت بالذات بعدما تغيرت موازين القوى لصالح المسلمين, وثمة عامل مهم آخر جعل بلدوين يتطلع إلى بيزنطة وهو احتياجه إلى أسطول حربي يمكن به تخفيف الضغط على المملكة وذلك بمهاجمة مصر, وقد رأى الملك بلدوين الرابع أن قيام الإمبراطورية البيزنطية بتقديم هذا الأسطول سيكون من أجّل الخدمات التي تقدمها بيزنطة للمملكة الصليبية وفرصة يجب على الصليبيين اغتنامها (34).غير أن اغتنام هذه الفرص كان يتوقف على أحوال كلاً من المملكة الصليبية والإمبراطورية البيزنطية, وعلى نوع الحكومة فيهما(35).

كانت سياسة الملك بلدوين الرابع تجاه بيزنطة تتفاوت طبقاً للحزب الذي يتولى دفة القيادة في المملكة الصليبية(36). حيث كان حزب البارونات الوطنيين يميل إلى

التحالف مع بيزنطة, في حين كان حزب القادمين الجدد لا يحبذ العمل مع بيزنطة كما سيتبين خلال ذلك العرض.

بالنسبة للحزب الأول, فقد كان أول من تولى الوصاية على بلدوين الرابع ممثلاً في زعيمه ريموند الثالث كونت طرابلس الذي تولى الوصاية خلال الفترة (1174-1176م)، وكان هذا الحزب يضم أيضاً, رينالد من صيدا،والكونستابل همفري دي تورون، وباليان من ابيلين وأخوه بلدوين.

كان معظم أعضاء هذا الحزب من ذوي الميول البيزنطية، وبالنسبة لريموند الثالث فكانت ميوله تجاه بيزنطة غير واضحة, إذ لدينا رأيين متناقضين, الأول يتبناه المؤرخ هاملتون(37). والذي يرى أن ميول ريموند الثالث تجاه بيزنطة كانت عدائية واستدل على ذلك بالموقف الذي وقع عام 1160م حينما رفض مانويل الأول الزواج من ميليسند أخت ريموند(38). وانتقاماً من مانويل قام ريموند الثالث بتخريب سواحل الإمبراطورية ونهبها, رداً على الإهانة التي لحقت بأخته(39). في حين يرى المؤرخ ليلي Lilie أن هذه المسألة مرت عليها سنوات كثيرة، وأنها لم توثر على ريموند الثالث(40). ويضيف Lilie أن ريموند اتبع سياسة صديقة تجاه بيزنطة أثناء فترة وصايته(41). لكن الباحث يميل إلى الأخذ برأي المؤرخ هاملتون، لعدة اعتبارات أهمها: أن الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول حينما اعتزم محاربة السلاجقة سنة 1175م أرسل يطلب المساعدة من المملكة الصليبية، ولكن المملكة بقيادة بلدوين الرابع ووصيه ريموند الثالث لم يقدموا المساعدة لبيزنطة، وربما كان ريموند الثالث السبب في ذلك(42). والاعتبار الآخر، وهو أن ريموند الثالث كان ضمن المعارضين للحملة الصليبية البيزنطية سنة1177م .

على أية حال، فإذا نحينا ريموند الثالث جانباً لعدم وضوح ميوله الشخصية فإن بقية أعضاء حزبه (حزب البارونات الوطنيين) كانوا يعتبرون الاتصال ببيزنطة أمراً ضرورياً في ذلك الوقت، فبالنسبة لبيت ابلين فقد بدا أنهم بيزنطيون الولاء, ومما يعزز ذلك أنه في سنة 1177م تزوج باليان ابلين من ماريه كومنين أرملة عموري الأول، وبذلك صار له مع

مانويل مصاهرة ونسب، أما الكونستابل همفري من تورون فكان مبعوث المملكة إلى البلاط البيزنطي منذ عهد الملك عموري. ويضاف إلى هذا الحزب شخص آخر وهو وليم الصوري، باعتبار أنه كان أول من اتصل مباشرة مع الدوائر البيزنطية سنة 1168م، ومرة أخرى فى سنة 1179-1180م، وأقام في القسطنطينية مدة من الوقت قاد فيها المفاوضات مع البيزنطيين، وكانت آراؤه تمثل بوضوح حزب البارونات الوطنيين(43).

وعلى الجانب الآخر كان حزب القادمين الجدد, والذي يضم رينو دي شاتيون, وجي لوزنيان, وأخوه أملريك وآجنيس كورتيناي أم الملك, وأخوها جوسلين الثالث. وكان هذا الحزب, ولأسباب غير واضحة يعارض الاتصال مع بيزنطة. بالنسبة لرينو دي شاتيون فكان قد غزا قبرص التابعة لبيزنطة، وقد أُذل من قبل الإمبراطور مانويل سنة 1159م. أما بالنسبة لموقف الكونتيسة آجنيس المعادي لبيزنطة, فربما يفسره ماضيها، حيث تم تطليقها من عموري, وتزوج عموري بعدها من الأميرة البيزنطية ماريه كومنين، وبذلك ثارت عداوة بين الزوجتين. أما بالنسبة لموقف أملريك وجي لوزنيان, وجوسلين الثالث، فليس هناك دوافع معلنة لعداوتهم لبيزنطة(44).

هذا بالنسبة لأحوال مملكة بيت المقدس, أما بالنسبة لبيزنطة، فإن حكومتها كانت مهيأة لإقامة علاقة تحالفيه مع الصليبيين وذلك لوجود مانويل الأول على العرش والذي وُصف بأنه "لاتيني الطابع محباً للصليبيين"(45) .

على أية حال, فقد بدأت علاقة بلدوين الرابع بمانويل كومنين عندما أرسل الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول يطلب مساعدة قوات مملكة بيت المقدس في حروبه ضد السلاجقة، وذلك سنة 1175م، غير أن الملك بلدوين الرابع لم يحرك قواته لمساعدة بيزنطة، وقيل أن ذلك تم بإيعاز من ريموند الثالث الذي كان وصياً على بلدوين الرابع آنذاك(46)، أما سنة الوصاية الثانية لريموند الثالث (1176م) فقد خلت من الأحداث الهامة بالنسبة للعلاقة الخارجية مع بيزنطة على أن أهم ما جرى في المملكة أنه في نهاية تلك السنة اضطر الوصي ريموند الثالث إلى التقاعد، وانفرد بلدوين الرابع بالحكم بعد أن وصل عمره إلى السن

القانوني للحكم(47).

على الجانب الآخر,, كانت بيزنطة مشغولة بالنزاع مع ألمانيا, والمملكة النورمانية, والبندقية(48). ثم تلقت الهزيمة الفادحة على يد السلاجقة فى معركة ميريوكيفالون Myriokephalonفى سبتمبر عام 1176م(49).

والواقع أن كارثة ميريوكيفالون بلغت فاجعتها عند الصليبيين ما بلغته عند بيزنطة (50). فعلى الرغم من افتقاد الثقة المتبادلة بين الصليبيين والبيزنطيين، فإن الصليبيين كانوا يعلمون أن بقاء الإمبراطورية البيزنطية يعتبر حائط صد أمام انتصارات المسلمين بقيادة صلاح الدين(51). وعلى الرغم من أن جيش مانويل كومنين تعرض للدمار، فإن أسطوله كان لا يزال قوياً, وبوسع بيزنطة أن تستخدمه لمساعدة الصليبيين،ولذلك فى صيف عام 1177م وعد مانويل كومنين بإرسال أسطوله ليساند الملك بلدوين الرابع فى هجومه على مصر(52).

والواقع أن سياسة مانويل آنذاك كانت تقوم على تحقيق شقين: الأول وهو التحكم في طريق الحملات الصليبية عبر آسيا الصغرى، والثاني وهو إرسال حملة بيزنطية صليبية مشتركة للاستيلاء على مصر. لكن مانويل فشل فى تحقيق الشق الأول من سياسته بعد الهزيمة التي تلقاها جيشه على يد السلاجقة سنة 1176م،ولذلك وجد مانويل أنه من الأسلم أن يعوض ذلك الفشل بالإسراع بالبدء فى تنفيذ الشق الثاني من سياسته وهو إرسال حملة صليبية بيزنطية على مصر, وقد كان من الممكن لهذه الحملة أن تحقق أمل الطرفين, بتعويض خسائر البيزنطيين في آسيا الصغرى من ناحية، وكذلك تعويض خسائر الصليبيين على يد صلاح الدين في مصر وسوريا من ناحية أخرى(53). كذلك فإن بيزنطة كانت تتخوف من أن تسقط مصر فى يد نورمان صقلية. فلو أن النورمانديين سيطروا على الموانى المصرية، لأدى ذلك إلى زيادة قوتهم, وصاروا أيضاً فى موضع يؤذي التجارة البيزنطية،وحرمان القوات البيزنطية فى الوقت نفسه من مساعدات الأسطول الغربي. كما كان واضحاً أن فردريك ملك ألمانيا معني بعقد سلام مع النورمانيين، الأمر الذي يجعل نورمان صقلية أحرار

فى استئناف عدائهم التقليدي لبيزنطة(54).

لهذا يمكن القول إن غزو مصر كان يصب فى المصلحة السياسية لبيزنطة، ولعل ما يدل على صحة ذلك ما ذكره وليم الصوري من أن القادة البيزنطيين صرحوا أنه من بين الأسباب التي دفعتهم للمشاركة في الحملة الصليبية على مصر هو العمل على زيادة مجد الإمبراطور البيزنطي(55). وبخاصة بعد النكبة التي تعرض لها الجيش الإمبراطوري في ميريوكيفالون سنة 1176م .

ويؤكد ذلك أيضا مجريات الأحداث التي سبقت إعداد هذه الحملة. حيث سعى الإمبراطور مانويل إلى التماس مساعدة البابوية فى حروبه ضد السلاجقة , ففي خطاب مؤرخ بالتاسع والعشرين من يناير 1176م بعث به مانويل إلى البابا اسكندر الثالث يطلب فيه من البابوية إرسال مساعدات عاجلة له تعينه على الحرب ضد المسلمين(56). ودون تأخير, أجاب البابا طلبه.إذ كان يهمه الإبقاء على صداقة مانويل، واستخدامه فى مواجهة عدوه فردريك الأول Frederick I إمبراطور ألمانيا (1125-1190م) لكن الأمور تبدلت بعدما تم تشكيل العصبة اللومباردية(57) Lombard League

إذ أصبح البابا اسكندر الثالث أقل اعتمادا على مانويل، وبعد عقد صلح البندقية عام 1177م وهزيمة مانويل فى ميريوكيفالون, تلاشى أي أمل حقيقي فى وجود تفاهم بيزنطي بابوي(58).وبدأ مانويل يخشى أن تعطيه البابوية ظهرها، ومن أجل تفادي حدوث ذلك، رأى أن مساعدته لمملكة بيت المقدس في هذا التوقيت ربما يكون المنفذ الوحيد الذي يقربه مرة أخرى من البابوية, ويثبت للغرب الأوربي أن بيزنطة لا تزال قوية ولم تؤثر فيها هزيمة ميريوكيفالون .

لهذا أرسل الإمبراطور مانويل سفارة بيزنطية لمقابلة الملك بلدوين الرابع, على رأسها وفد دبلوماسي رفيع المستوي, برئاسة أندرونيكوس أنجيلوسAndronicus Anjelus ابن أخت الإمبراطور مانويل كومنين، وكانت مهمة السفارة إبلاغ الملك بلدوين الرابع أن الوقت أصبح مناسباً لتنفيذ المعاهدة التي عقدها الإمبراطور مانويل مع الملك عموري الأول

فى عام 1171م(59) والتي حددها الملك بلدوين الرابع بالشروط نفسها بهدف غزو مصر(60)، كما أبلغت السفارة الملك بلدوين الرابع أن الإمبراطور مانويل أرسل سبعين سفينة من نوع الشواني وبعض السفن الأخرى وهى راسية فى ميناء عكا على أهبة الاستعداد لغزو مصر(61).

في هذا التوقيت نفسه كانت قد وصلت إلى المملكة الصليبية حملة بقيادة فيليب كونت فلاندرز, ونظراً للحالة الصحية السيئة التي كان يمر بها بلدوين آنذاك فقد عرض على فيليب كونت فلاندرز قيادة الحملة لغزو مصر, لكن الكونت فيليب رفض الأمر رفضا قاطعاً متعللاً بأنه لم يأتي للقيام بحرب ولكنه جاء لتزويج ابنتي عمه الأميرتين سيبيلا، وايزابيلا(62).

لم يكن فيليب كونت فلاندرز الأمير الوحيد الذي كان يعارض مشروع الحملة(63).فقد كان هناك العديد من النبلاء داخل المملكة غير ميالين لمشاركة بيزنطة فى حملتهم على مصر, فرينو دي شاتيون زعيم الحزب المعارض لبيزنطة والذي تم تعيينه مؤخراً وصياً تنفيذياً للمملكة ربما لم يكن يرغب في مشاركة البيزنطيين. بل أن ريموند الثالث الذي يفترض أن يكون ضمن الحزب الموالي لبيزنطة كان هو الآخر غير راغب في غزو مصر وأظهر ذلك بصورة علنية(64).

على الرغم من رفض كونت فلاندرز، إلا أن سفراء بيزنطة كانوا مُصرين على تنفيذ الاتفاقية، وقالوا: " إنه من المحتمل أن يؤدي التراخي فى تنفيذ الاتفاقية إلى طريق محفوف بالخطر وأن قومهم الإغريق لا يرون من ناحيتهم أي سبب لعدم المضي قدماً فى تنفيذ الاتفاقية (65) .

لذلك جرى عرض الأمر مرة أخري على الكونت فيليب للقيام بقيادة القوات الصليبية ومشاركة الأسطول البيزنطي غزوه للأراضي المصرية لكن الكونت رفض هذا الأمر أيضاً(66)، وبدا واضحا أن مشروع الحملة الصليبية البيزنطية مهدد بالفشل. لهذا صب وليم الصوري غضبه على المعارضين للحملة، وألقى بكامل اللوم على الكونت فيليب، وحمله

فشل الخطة لغزو مصر، كما اتهم كلا من الكونت ريموند والأمير بوهيموند الثالث أمير أنطاكية بأنهما حرضا الكونت فيليب على عدم قبول المشاركة فى غزو مصر، رغبة منهما في الإفادة من جهود كونت فلاندرز في تحقيق مصالح شخصية لهما(67) .

هذا ويري المؤرخ Lilie أن قسماً من نبلاء المملكة لم يرغبوا فى غزو صليبي بيزنطي مشترك لمصر, لأنهم اعتقدوا بأنه يمكن تحقيق ذلك بدون بيزنطة، وأنه لأجل ذلك لم يرغبوا فى تقسيم الغنائم المتوقعة، أو بسبب أنهم كانوا يشككون في نجاح الحملة، أما الكونت فيليب فقد بدا واضحاً أنه يرفض التعاون مع البيزنطيين، وإن كانت دوافعه لذلك غامضة، ربما كانت لديه خططاً أخري في مصر رأى أنه يمكنه تحقيقها بدون بيزنطة (68), حتى أن المؤرخ جان ريتشارد (.Richard (J تساءل عما إذا كان فيليب يشتهي مصر لنفسه؟(69). وفي ضوء ذلك لم تستطع مملكة بيت المقدس أن تغامر بالمشروع بدون فيليب كونت فلاندرز(70) .

أياً كان المسئول عن فشل الحملة فمما لا شك فيه أن مشروع الحملة ضد مصر عام 1177م كان غير مضمون النتائج, بل ومحكوم عليه بالفشل لعدة أسباب: أولها، أن الأسطول البيزنطي الذي هاجم دمياط عام 1169م كان يعادل ثلاثة أمثال السفن التي أعدت لمشروع هذه الحملة، ورغم ذلك باء بالفشل. ثانيها: أن أي قيادة صليبية تتولي أمر هذه الحملة لم تكن مثل قيادة عموري الذي كان شديد التحمس لغزو مصر. وثالثها: أن الأوضاع السياسة والعسكرية داخل المملكة صارت أمراً مقلقاً بسبب تفتت وحدة الصليبيين, فى الوقت الذي كانت الأوضاع قد تغيرت للأفضل بالنسبة لصلاح الدين، بعد أن امتدت سيطرته على مصر ودمشق ومعظم بلاد الشام حتى هدد حلب(71).وفي رسالة لصلاح الدين رداً على أنباء قدوم كونت فلاندرز أورد يقول إن جنودنا أخذوا قسطاً من الراحة وزُودوا بالمال تزويداً حسناً, والموانئ محصنة تحصيناً قوياً, وحالة الأسطول المالية مريحة. كما صرح أن الصليبيون لم يختاروا الوقت المناسب للهجوم – من وجهة نظره – لأن جيوشه كانت قوية ومجهزة تجهيزاً جيداً, وأن أخيه تورانشاه يعد العدة لحشد الجيوش السورية بحيث

يكونوا على أتم استعداد لصد أي عدوان صليبي على مصر(72) .

وبذلك يتضح أن صلاح الدين كان يعلم بأمر هذه الحملة واستعد لملاقاتها(73) على العكس من حملة عام 1169م التي فاجأت مدينة دمياط. وفى مثل هذه الأوضاع لم يكن من الحكمة البدء بهجوم على مصر، لربما يدفع ذلك إلى اتحاد صلاح الدين مع حلب, وأخيراً تطويق الدويلات الصليبية؛ في الوقت الذي كانت فيه الإستراتيجية الصليبية تعمل على منع صلاح الدين من دمج حلب (74) .

ولعل فى هذه الأسباب ما يكفي للرد على الذين بالغوا في أمر هذا المشروع ورأوا أنه أضاع على الصليبيين فرصة فصل مصر عن بلاد الشام(75) .

ولكن وليم الصوري كان يرى أنه من العار أن يفقد الصليبيون هذه الحملة: "إنه ليس من الأسلم ولا الأشراف لنا أن ننسلخ من هذه الاتفاقية". وكان ما يُقلق وليم هو أن هذا الموقف السلبي لبني جلدته سيقابل بغضب وبرد فعل خطير من جهة الإمبراطور: "لقد كان عدم وفائنا بالاتفاق الذي ربطنا أنفسنا به يبدو أحط ما يزري بالشرف .. ومن الخسارة أن نفقد مساعدة الإمبراطور الذي استعد لمعاونتنا،زيادة على ذلك فقد خشينا غضبته التي قد تسفر عن عواقب وخيمة تحيق بالمملكة"(76).

والواقع أن المؤرخ وليم الصوري بالغ كثيراً فى روايته, ولا مراء فى أن هذه المبالغة ترجع إلى كونه الطرف الأساسي فى عقد هذه الاتفاقية, حيث كان قد سافر من قبل للإعداد لعقد هذا التحالف, لذلك كان غاضباً من المملكة لعدم تنفيذ بنود هذا الاتفاق.

ولكن بعيداً عن مبالغات وليم الصوري فإن المملكة الصليبية بدأت تدرك خلال ذلك الوقت أهمية التحالف مع بيزنطة لذلك عقد صليبيو المملكة اجتماعاً مع المبعوثين البيزنطيين،وفي هذا الاجتماع أكد الصليبيون أنهم لا زالوا حريصين على تنفيذ الاتفاق بغزو مصر، وأنهم بحاجة إلى معرفة رأي البيزنطيين فى ذلك, وكان رد بيزنطة أنها لا زالت تأمل فى تنفيذ الاتفاق, على الرغم من أن الوقت قصير ولا يسمح بالقيام بالتجهيزات اللازمة لجيوشهم, إلا أنهم على الاستعداد للمشاركة إذا ما أقسم كونت فلاندرز على نفسه بالتعهد

بالعمل على تنفيذ الاتفاق, ودون الإخلال بأي شرط منه،ولما طال موضوع النقاش دون الوصول إلى هدف، تم فض الاجتماع وتأجيله إلى شهر أبريل من العام التالي 1178م، عند ذلك استأذن مندوبو الإمبراطور فى السفر فعادوا بصحبة الأسطول البيزنطي إلى وطنهم(77) بعد أن أمضوا شهراً فى محاولة لدفع الصليبيين لتنفيذ الاتفاق بغزو مصر(78). وبذلك انتهى التحالف الصليبي البيزنطي لغزو مصر ولم يجدد بعد ذلك قط. إذ كانت هذه آخر فرصة قدمتها الإمبراطورية لمملكة بيت المقدس(79) .

على الرغم من فشل مشروع الحملة الصليبية البيزنطية, فإن ذلك لم يمنع وجود علاقات ودية بين مملكة بيت المقدس وبيزنطة، ويبدو أن الاتصالات بينهما لم تتوقف, وخاصة بين مانويل كومنين وبين الحزب الموالي لبيزنطة في المملكة، ففي أواخر سنوات حكم مانويل, توجه بلدوين من ابيلين إلى القسطنطينية(80) يلتمس من الإمبراطور مانويل الأول دفع فديته, ليسترد حريته, والتي كانت شرطاً من شروط الأميرة سيبيلا للزواج منه(81). وطبقاً لرواية إرنول, فإن بلدوين ابيلين أُستقبل بترحاب فى البلاط البيزنطي, وأعطاه مانويل من المال ما يكفي لدفع فديته وأكثر(82) ومن المرجح أن الإمبراطور مانويل كان يهمه أن يتزوج بلدوين ابيلين من الأميرة سيبيلا، كخطوة لعودة سياسة المملكة إلى يد الحزب الموالي لبيزنطة، ممثلاً في بلدوين ابيلين(83) .

في هذا الوقت أيضاً, توجه وليم الصوري إلي القسطنطينية, وفيها قضى سبعة أشهر فى إجراء بعض المفاوضات مع البيزنطيين, وذكر وليم الصوري أنها كانت "مفاوضات جدية وشاقة.. عادت بالنفع علينا وعلى الكنيسة".غير أنه لم يذكر تفاصيل هذه المفاوضات أو عن أي شيء تمت. كذلك أشار وليم أنه أثناء رحلة عودته لبيت المقدس مر بأنطاكية، حيث نقل إلى بطريركها أوامر الإمبراطور مانويل، وطبقاً لرواية وليم فقد كان برفقته بعض المبعوثين البيزنطيين من أشراف القوم، ولكن ليست لدينا معلومات عن مهمة هذه البعثة(84).

كما توجهت أيضاً سفارة صليبية بقيادة كل من بلدوين ابيلين وجوسلين الثالث

كورتيناي سنكال المملكة إلى القسطنطينية فى مهمة رسمية للبلاط الإمبراطوري, ولكن لا يُعرف أية تفاصيل عنها, إذ إن كافة المصادر الصليبية والبيزنطية لاذت بالصمت حول هذه السفارة. ويحتمل كما افترض أحد المؤرخين أنها كانت مهمة رسمية لمحاولة تنسيق سياسات الدولتين (مملكة بيت المقدس وبيزنطة) ضد صلاح الدين والسلاجقة(85) على أية حال, ففي الرابع والعشرين من سبتمبر سنة 1180م مات مانويل الأول, في الوقت الذي كانت سفارة بيت المقدس لا تزال في القسطنطينية, وبوفاته فقد الصليبيون أقوي حليف لهم إذ كان مانويل الأول على حد قول روبرت كلاري: "لاتيني الطابع والنزعة, ولعاً بكل ما هو غربي, صادقاً فى ميله للصليبيين, ولو امتد به الأجل لأضحى أسطوله وأمواله بالغة الأهمية للصليبيين(86) .

وقد خلف مانويل على العرش ابنه ألكسيوس الثاني كومنين Alxius II Comnenus) 1180-1183م) الذي كان فى الحادية عشرة من عمره, تحت وصاية أمه ماريا الأنطاكية, أرملة مانويل الأول, وأخت بوهيموند الثالث أمير أنطاكية. ونظراً لأنها أميرة صليبية فقد سعت للتقارب مع صليبي المملكة, لذلك في شتاء عام 1180م استكمل جوسلين الثالث باسم الملك بلدوين الرابع المفاوضات مع حكومة بيزنطة الجديدة ثم عاد جوسلين الثالث في صيف عام 1181م إلى مملكة بيت المقدس, والراجح أنه عاد بمفاوضات ناجحة مع البيزنطيين(87).

في صيف العام نفسه, أرسلت ماريا الأنطاكية بسفارة إلى القاهرة لتفاوض صلاح الدين في عقد هدنة معه, وربما كانت تأمل في استخدام صلاح الدين كحليف لها ضد سلاجقة الروم , وقد رحب صلاح الدين بعقد تلك الهدنة التي تمت في يوليو سنة 1181م, والواقع أن هذه الهدنة لم تسبب أية مشاكل لمملكة بيت المقدس, التي كانت هي نفسها في صلح وهدنة مع صلاح الدين في ذلك الوقت أيضاً(88) .

لم تلبث هدنة الصليبيين مع صلاح الدين أن انتهت في ربيع 1182م في الوقت الذي كانت الحكومة البيزنطية قد تغيرت, فقد تعرضت الوصية ماريا الأنطاكية ذات

الميول الصليبية لكراهية البيزنطيين, الذين ثاروا عليها وعلى ابنها, وكان زعيم الثورة رجلاً بيزنطياً طاعناً فى السن هو أندرونيكوس كومنين Andronicus Comnenus (1183- 1185م)– ابن عم الإمبراطور مانويل – واستطاع هذا الثائر أن يقصي كلاً من ماريا وابنها عن العرش, بدعوى أنه جاء يخلص البيزنطيين من نير اللاتين, الأمر الذي أعطى الفرصة للبيزنطيين فى الانقضاض على اللاتين الموجودين فى القسطنطينية, فجرت ضدهم مذبحة مروعة، ولم يبق منهم على قيد الحياة إلا قلة ضئيلة فرت إلى الغرب الأوربي(89) .

والواقع أن الحماية البيزنطية لمملكة بيت المقدس زالت بسقوط حكومة ماريه الأنطاكية سنة 1183م(90), إذ اتخذ أندرونيكوس سياسة مخالفة تماما لسياسة مانويل كومنين وابنه ألكسيوس ,فقد كان أندرونيكوس كارهاً لكل ما هو لاتيني لذلك عقد معاهدة مع صلاح الدين, وكانت هذه المعاهدة موجهة ضد مملكة بيت المقدس وضد السلاجقة, والأخطر من ذلك أنه أطلق بمقتضاها لصلاح الدين الحرية التامة فى مهاجمة الصليبيين(91). حينئذ أدرك الملك بلدوين الرابع أنه لا يمكن توقع مجيء مساعدة من بيزنطة(92).

لم تلبث أن ثارت ضد أندرونيكوس ثورة أطاحت به في سنة 1185م, وقد مزق الثوار جسده شر ممزق, وكانت الثورة برئاسة إسحاق انجيلوس- Isaac Angelus (1185- 1185م) ابن عم الإمبراطور – والذي تم رفعه على عرش بيزنطة(93). وفي عهده أهملت بيزنطة علاقاتها بمملكة بيت المقدس, حيث أجرى أنجيلوس مفاوضات بينه وبين وصلاح الدين, والتي كانت تعنى انقطاع التعاون البيزنطي الصليبي, وابتعاد بيزنطة عن مد يد العون للمملكة الصليبية(94), وحتى إذا سلمنا جدلاً بأن سياسة بيزنطة وتحالفها مع صلاح الدين لا تعني العداء التام للمملكة وللصليبيين, فإن الإمبراطورية البيزنطية لم تكن قوية بما يكفي للتدخل لصالح الصليبيين فى الشرق(95) .

هذه الأحداث التي وقعت لبيزنطة كانت بالغة الضرر بالنسبة للمملكة الصليبية, وبالغة النفع بالنسبة لصلاح الدين, إذ لم يعد بوسع الصليبيين وحدهم أن يعترضوا تقدم

صلاح الدين, كذلك لم يعد بوسع بيزنطة أن تبذل المساعدة لمملكة بيت المقدس, ومن ثم كان لزاماً على الملك بلدوين الرابع أن يبحث عن حليف آخر, يحل محل الدور الذي كانت تقوم به بيزنطة خلال حكم الإمبراطور مانويل ولم يكن هذا الحليف سوى الغرب الأوربي. لذلك بدأت المملكة الصليبية ترسل دعوتها لأمراء وملوك الغرب الأوربي للمبادرة بالقيام بحملات صليبية لإنقاذها ,

كانت انجلترا من أولى الدول التي اتجهت إليها أنظار مملكة بيت المقدس, فعقب تولية بلدوين الرابع ملكاً لبيت المقدس في يوليو 1174م جرى توجيه دعوة إلى الملك الانجليزي هنري الثاني بلانتجنت (1154-1189م) لتولي الوصاية على المملكة باعتباره من أقرب الذكور صلة بالملك بلدوين الرابع(96). ولكن ولأسباب غير معروفة رفض الملك هنري القدوم لتولي الوصاية, ربما بسبب مشاغله الكثيرة في الغرب. حيث دخل هنري الثاني في ثورة على عرش انجلترا استغرقت الفترة من عام 1173 وحتى عام 1174م, لهذا لم يستطع تقديم المساعدة للمملكة الصليبية في بداية حكم بلدوين الرابع(97) .

ومع ذلك ليس هناك خلاف حول التزام هنري الثاني بمساعدة الأرض المقدسة من الناحية المالية فخلال السنوات التي عاصرت حكم الملك بلدوين الرابع جرى فرض مراسيم من قبل الملك هنري الثاني لجمع ضرائب لمساعدة الأرض المقدسة(98), ففي عام 1177م أعطى هنري الثاني لفيليب كونت فلاندرز مبلغ خمسمائة مارك لتمويل حملته الصليبية المتجهة إلى القدس. بالإضافة إلى ألف مارك للدفاع عن الأرض المقدسة. وفى عام 1182م أودع هنري مبلغاً كبيراً من المال لدى الداوية الإسبتارية, للدفاع عن مدينة صور, ويقدر هذا المبلغ بحوالي ثلاثين ألف مارك(99). وبدا ذلك وكأنه المنفذ الوحيد المتاح أمام الملك الإنجليزي فى ضوء الظروف السياسية السائدة فى انجلترا فى هذه الآونة .(100).

على أية حال, فإن التماسات الملك بلدوين الرابع وحكومته إلى الغرب الأوربي بدأت تحدث بعض التأثير على الرأي العام الغربي ابتداء من أواخر عام 1177م, وكانت أولى الدول التي استجابت لهذه النداءات هي فرنسا وانجلترا, فهما المملكتان اللتان استأثرا

بنصيب الأسد فى القيام بالحملات الصليبية التي وجهت إلى الشرق حتى الفترة قيد البحث(101).

وفى ذلك الوقت ترددت الأقاويل عن الاستعدادات لتوجيه حملة صليبية جديدة من الغرب, وجرى الحديث عن أن لويس السابع ملك فرنسا, وهنري الثاني ملك انجلترا, قررا الاشتراك فى حملة صليبية جديدة لمساعدة مملكة بيت المقدس(102). ففي عام 1177م, عقد الملكان هنري الثاني ولويس السابع معاهدة إيفري ,Ivry (103)وفيها تعهد الملكان بالإبحار إلي الشرق على رأس حملة صليبية(104)

ولكن رغم هذا التعهد رفض كل من الملكين القيام بحملة صليبية لمساعدة الملك بلدوين الرابع في حروبه فى تلك السنة. ويمكن تفسير هذا التراخي, بالارتياب المتبادل الذي كان بين ملكي فرنسا وانجلترا, حيث كان هنري الثاني وأبنائه باعتبارهم من الناحية الرسمية أفصالاً للملك الفرنسي كانوا يحكمون جزءاً كبيراً من الأراضي الفرنسية أكثر من ملك فرنسا ذاته(105). لذا فإن كلاً من لويس وهنري كان ينظر للآخر بارتياب عميق. ومن ثم فإن أياً منهما لم يكن يستطيع الذهاب بمفرده الى الشرق وعلى رأس حملة صليبية, وهو مدرك تماماً أن الآخر فى انتظار اقتناص هذه الفرصة لغزو أراضيه. حيث تكون النتيجة فقدان هيبته, وازدياد نفوذ سلطة منافسه. ولهذا لم يكن هناك مخرج لهذا الموقف. ولكن المساعدة المالية فقط هي التي كان يمكن إرسالها للملك بلدوين الرابع(106).

عقب ذلك عُقدت معاهدة نوناكورت Nonancourt بين الملك الفرنسي لويس السابع ونظيره هنري الثاني عام 1177م. وفي هذه المعاهدة وضع الملكان الإنجليزي والفرنسي الشروط التي تحدد سيرهما إلى القدس على رأس حملة صليبية مشتركة, وكان من بين ما جاء في نص المعاهدة مايلي: "وليعلم كل الناس أنني لويس ملك فرنسا, وهنري ملك انجلترا, أننا تعاهدنا على حمل الصليب والذهاب إلى مملكة بيت المقدس لمساعدة الصليبيين هناك, كما تعاهدنا أن نكون أصدقاء أوفياء بيننا (107) .

ولكن حتى ذلك الوقت بقيت فكرة الحملة الصليبية مجرد اقتراح. كما أزاح هذا

الاتفاق النقاب عن انعدام الثقة بين الملكين, حتى ولو كان هذا المشروع من أجل تحقيق مصلحة دينية عليا(108) .

لم تفقد حكومة الملك الصليبي بلدوين الرابع الأمل في إنقاذ الغرب الأوربي لها، رغم خيبة الأمل التي اصطدموا بها جراء خلافات العاهلين الفرنسي والانجليزي. ومن ثم أوفد الملك بلدوين الرابع سفارة برئاسة البطريرك هرقل فى شتاء 1184م إلى الغرب الأوربي, وكانت السفارة تضم أيضاً عدداً كبيراً من الداوية والإسبتارية, مثل أرنولد من تورج Arnold of Torroge سيد الداوية, وروجر مولينيه سيد الإسبتارية, وكان هدف السفارة الدعوة لحملة صليبية جديدة(109). وفي فيرونا Verona تقابلت هذه السفارة مع كل من البابا لوسيوس الثالث, ثم الإمبراطور الألماني فردريك الأول بربا روسا, ثم وصلت السفارة إلى انجلترا في نهاية يناير 1185م والتقت بهنري الثاني فى ريدنج Reading حيث وصف البطريرك المتاعب التي تعانيها المملكة خاصة ومع اشتداد مرض الجذام على الملك بلدوين الرابع(110) .

جاء رد فعل هنري الثاني على سفارة بيت المقدس انعكاساً للفتور الغربي بصفة عامة تجاه السفارات الصليبية القادمة من الشرق. حيث رفض المشاركة في أية حملة تتجه إلى الشرق في ذلك الوقت. ويعلل أحد المؤرخين رد فعل هنري الثاني تجاه هذه السفارة بأن الملك لم يكن يستطيع أن يأمن بترك السلطة فى يد أحد من أبنائه فى حالة ذهابه إلى الشرق, مما ينذر بحرب أهلية وخيمة العواقب فى انجلترا من خلال تمرد أبنائه ضده(111). لكن ذلك لم يمنع هنري الثاني من فرض ضريبة استثنائية في انجلترا كان غرضها الأساسي مساعدة مملكة بيت المقدس من الناحية المالية(112). وكانت هذه الضريبة آخر ما وصلت اليه العلاقات بين مملكة بيت المقدس وانجلترا خلال عهد الملك بلدوين الرابع .

وهكذا يتضح أنه بالرغم من الالتماسات المتكررة والعاجلة من قبل الملك بلدوين الرابع إلى انجلترا وفرنسا لإرسال حملة عسكرية جديدة, إلا أن هاتين الدولتين لم تخرج منهما مساندة عسكرية على نطاق واسع إلى الشرق(113) شأنهما في ذلك شأن بقية

أوربا (114).

أما بالنسبة لنورمان صقلية فقد كانوا قد ظهروا آنذاك كقوة أوربية خاصة بعد ما ساندوا البابا اسكندر الثالث والعصبة اللمباردية ضد فريدريك الأول Frederick I إمبراطور ألمانيا (1152-1190م)(115). لهذا كانت الفرص المؤكدة للمساعدات الغربيةِ لمملكة بيت المقدس موجودة لدى الملكِ الشابِ وليم الثاني WilliamII(1166- 1184م) ملك صقلية والذي كان قلقاً بشأن نمو قوَّةِ صلاح الدين، وخصوصاً حول توسعه الغربي خارج حدود مصر, لهذا جمعته بمملكة بيت المقدس علاقات ذات مصالح مشتركة (116) .

بدأت العلاقات بين صقلية ومملكة بيت المقدس عندما عقد الملك وليم الثاني معاهدة مع عموري الأول سنة 1174م اتفقوا فيها على غزو مصر, ولكن لم يلبث أن مات عموري الأول في تلك السنة, تاركاً الأسطول النورماني يمضي في حملته بمفرده(117), لكن ما يهمنا فى هذا الموضوع هو أن الملك بلدوين الرابع لم يجدد المعاهدة التي عقدها والده مع النورمانيين, ومن المرجح أن السبب في ذلك يرجع إلى تخوفه من نورمان صقلية الذين كانوا يعملون على غزو مصر ليفوزوا بها بمفردهم(118).

أياً كان الأمر فبعد ثلاثة عشر يوما فقط من تتويج بلدوين الرابع ملكاً لبيت المقدس, وبالتحديد في الثامن والعشرين من يوليو 1174م وصل الأسطول النورماني إلى الإسكندرية وأغار عليها(119). وكان أسطولاً كبيراً قدرته المصادر الإسلامية بمائتي واثنين وثمانين سفينة حربية تحمل المقاتلين النورمانيين بعدتهم وعتادهم, وبلغ عدد هؤلاء المقاتلين ثلاثين ألف مقاتل, وفى رواية, خمسين ألف مقاتل(120). ولا شك أن هذه الأرقام مبالغ فيها من جانب المؤرخين المسلمين, وإن كانت لها دلالتها أيضاً. أما المصادر الصليبية فقد قدرت هذا الأسطول بمائتي سفينة(121). وكان الأسطول بقيادة تانكريد ,Tancred كونت ليتشي(122) .

وقد ذكر ابن الأثير أن مجموعة من الثوار المصريين أرسلوا إلى ملك بيت المقدس,

وإلى ملك صقلية النورماني يستنجدون بهما ضد أقوى أمراء نور الدين وهو صلاح الدين, وكانت خططهم تقضى بأن يهاجم الأسطول النورماني وجيش المملكة حدود مصر الشمالية, وذلك لجذب صلاح الدين إلى خارج القاهرة, فى الوقت الذي تنشب الثورات الداخلية, ويهاجموا مؤخرة جيش صلاح الدين, وبذلك يقع صلاح الدين بين نارين: هجوم الصليبيين من الخارج, واندلاع الثورات في الداخل(123).

وهكذا قدمت الظروف الخارجية آنذاك للصليبيين فرصة ثمينة للهجوم على صلاح الدين فى عقر داره, والحد من قوته. لكن ذلك لم يحدث, حيث لم تتحرك القوات الصليبية لمساعدة النورمانيين(124) .

هذا الموقف السلبي الذي وقفته المملكة تجاه الأسطول النورماني يثير العديد من التساؤلات حول الأسباب التي جعلت مملكة القدس تحجم عن غزو مصر, خاصة وأن صلاح الدين كان مشغولا آنذاك بمشاكله الداخلية مع قواد نور الدين, فضلا عن الثورات التي كانت تقوم ضده في مصر(125) .

الواقع أن المصادر المعاصرة وخاصة اللاتينية منها لم تذكر أدني إشارة عن أسباب إحجام المملكة فى مشاركة النورمانيين حملتهم, فوليم الصوري المعاصر لتلك الحملة, حمَّل القادة النورمان مسئولية هذا الفشل بسبب إهمالهم(126). وبذلك ألقى هذا المؤرخ باللائمة على عاتق النورمان. لكن يبدو أن هذا مبرراً ليس كافياً, إذ يُذكر أن ثمة نزاع نشب بين الصليبيين في مملكة بيت المقدس حول الوصاية على العرش, عطل تقديم المساعدة الى الحملة النورمانية, الأمر الذي مكن صلاح الدين من إرسال الإمدادات الضرورية إلى حامية الإسكندرية, فتمكنت الحامية فى اليوم الثالث من مباغتة الأسطول وأحرقت بعض السفن وأغرقت البعض الآخر وألحقت بالأسطول خسائر كبيرة, مما أدي إلى فشل الحملة وانسحاب الأسطول النورماني إلى صقلية خائباً فى الثاني من أغسطس عام 1174م(127).

علي الرغم من ذلك أرسل نورمان صقلية حملتين بحريتين سنتي 1175م, 1176م وكان السبب الظاهري مساعدة مملكة بيت المقدس, ففي خطاب أرسله صلاح

الدين إلى الخليفة العباسي أطلعه أن ملك صقلية يستعد للهجوم على مصر بمساعدة الصليبيين(128). وقد صدق ظن صلاح الدين, حيث قدمت حملتان من حملات صقلية على مصر, وبخاصة على مدينة تنيس(129). لكن الحملتين فشلتا أيضاً (130).

وربما بسبب عدم مساعدة مملكة بيت المقدس لهما. وبخاصة بعد أن تبين للملك بلدوين الرابع وحكومته أن الحملتين كان غرضهما النهب والسلب وليس مساعدة المملكة(131). ومهما يكن من أمر فقد كانت هذه آخر المشروعات التي حاولت صقلية القيام بها خلال عهد الملك بلدوين الرابع, فبعدها عقد الملك وليم الثاني معاهدة مع صلاح الدين تعهد فيها بعدم مهاجمة الأراضي الإسلامية, كما تعهد بعدم تقديم المساعدات لمملكة بيت المقدس(132).

إذا انتقلنا إلى الحملات التي قدمت المملكة الصليبية خلال عهد الملك بلدوين الرابع, فهناك حملة بقيادة هنري كونت تروي, ابن كونت ثيوبولد الكبير, وقد وصلت هذه الحملة إلي ميناء عكا عام 1179م, وكانت الحملة تضم مجموعة من كبار رجال الغرب الأوربي, من بينهم بطرس دي كورتيناي peter de Courtenay شقيق لويس السابع ملك فرنسا, كما جاء فيليب أسقف بوفيه المنتخب بن كونت روبرت Philip Bishop Pofeeوأخو الملك لويس(133) .

جاءت هذه الحملة عقب مجمع اللاتيران الثالث, ويبدو أن الوفد الصليبي الذي حضر مجمع اللاتيران قد طلب المساعدة من كونت ثيوبولد, ولعل ما يرجح هذا القول أن وليم الصوري ذكر أن الوفد الصليبي ترك ابن كونت ثيوبولد خلفه في مدينة برنديزي بأبوليا أثناء رجوعه من مجمع اللاتيران(134) .

الواقع أن تفاصيل هذه الحملة قليلة, وكذلك ليس لدينا معلومات عن أعدادها. وكل ما نعرفه أن هذه الحملة قدمت في وقت كانت فيه المملكة تعاني من ضربات صلاح الدين وحصاره لحصن بيت الأحزان, وقد أعاد قدوم هذه الحملة بعض الثقة إلى نفوس صليبي بيت المقدس, وقد أحيت لدى الصليبيين الآمال فى أن يتجنبوا ضربات المسلمين

الموجعة, كما علق الملك بلدوين الرابع آمالاً كبيرة على أن يثأر بمساعدتهم من المسلمين (135). ولذلك فقد تحركت هذه الحملة مع الملك بلدوين إلى طبرية, فى محاولة للضغط على صلاح الدين لرفع الحصار عن حصن بيت الأحزان, ولكن على حد رواية المصادر الصليبية فإن بلدوين الرابع ومن معه من جنود هذه الحملة أجلوا الاستعدادات ليوم واحد فقط, وخلال هذا اليوم تمكن صلاح الدين من الاستيلاء على الحصن وهدمه(136).

وهكذا فإن الآمال الكبيرة التي علقتها المملكة على هذه الحملة قد ذهبت أدراج الرياح, ولم تستطع أن تغير من أمر الصراع الصليبي- الإسلامي شيئاً, ولذلك عادت المفاوضات مرة أخرى مع دوق برجنديا, هيو الثالث Hugh III وقد تجددت هذه المفاوضات مع عمه الكونت هنري, وانعقد الأمل مرة أخرى على قدومه بحملة إلى المملكة, ولكن لأسباب يقول وليم الصوري أنه لا يعرفها لم تأت الحملة إلى الشرق اللاتيني(137) .

على أن أشهر الحملات التي قدمت زمن بلدوين الرابع هي الحملة الفلمنكية, والواقع أن أحداث هذه الحملة تحتاج إلى إيضاح, لما لها من أهمية فى تاريخ تلك المرحلة موضوع الدراسة, ولأهمية نتائجها التي تأثرت بها المملكة الصليبية بصورة تكاد تكون مباشرة والتي وقعت أحداثها خلال سنتي 1177و1178م.

فى أول أغسطس من عام 1177م وصلت إلى ميناء عكا حملة فلمنكية بقيادة فيليب الألزاسي ابن تييري كونت فلاندرز, وقد ذكرت المصادر المعاصرة أن هذه الحملة كانت مكونة من عدد كبير من الفرسان والمقاتلين, وإن لم تحدد هذه المصادر عدتها وعتادها على وجه الدقة(138) .

كان الملك بلدوين الرابع يترقب وصول فيليب كونت فلاندرز بحملته منذ وقت بعيد (139). وفي الواقع فإن الكونت كان قد خطط لسفره بالفعل منذ سنة 1176م, لكن الملك الإنجليزي هنري الثاني طلب من الكونت فيليب إرجاء حملته الصليبية لمدة سنة أخرى, ووعده بالمشاركة في نفقات الحملة الفلمنكية في حالة تأجيل الحملة. وقيل أن السبب وراء محاولة هنري الثاني منع فيليب من الذهاب, هو أنه كان يخشى أن يجعل فيليب من

نفسه ملكاً للقدس(140). وقد امتثل فيليب إلى رغبات الملك هنري الثاني, نظراً لحاجته إلى المال الذي وعده به هنري ,واستناداً لرواية "روجر أوف واندوفر" فإن المال الذي عرضه هنري لفيليب كان مرتبطاً بشرط قيامه بحملة للدفاع عن مملكة بيت المقدس الصليبية(141).

والواقع أن فيليب كونت فلاندرز كان مهتماً ببيت المقدس لعدة أسباب أهمها أن والديه ضربا له أروع المثل للحماسة للأرض المقدسة, فوالده تييري أوف فلاندرز قام بحملة صليبية لمساعدة بيت المقدس أربع مرات(142), بينما أمه انفصلت عن أبيه لكي تبقى في خدمة أحد الأديرة بالقرب من القدس, وظلت هناك حتى وفاتها سنة 1165, فضلا عن أنه كان ابن عم بلدوين الرابع, وبذلك كان ضمن القلائل من الذين كان لهم الحق في الوصاية على بلدوين الرابع أثناء اعتلائه عرش المملكة .(143)

مهما كان الأمر, فقد رحب الملك بلدوين الرابع بقدوم فيليب في أغسطس 1177م أبلغ ترحيب, إذ أرسل كبار نبلائه لاستقباله الاستقبال اللائق, وخرج الملك بنفسه رغم شدة مرضه منقولا على محفة لاستقبال هذه الحملة(144), ويبدو أن الملك بلدوين الرابع كان يعول كثيراً على هذه الحملة, وربما رأى فيها طوق النجاة لمملكته, ويبدو أنه كان يأمل فى إسناد وصاية عرش المملكة إلى فيليب خلفاً لريموند الثالث من ناحية, والإفادة من الحملة الفلمنكية فى إتمام مشروع الغزو لمصر من جهة أخرى(145).

ومن ثم فقد عرض الملك بلدوين الرابع على الكونت فيليب تسليمه الإشراف على المملكة فى السلم والحرب, كوصي له, وألح عليه فى تولي قيادة الحملة الصليبية لغزو مصر بمشاركة القوات البيزنطية, لكن موقف فيليب جاء مخيباً لآمال الملك بلدوين الرابع(146). فقد رفض فيليب تولي الوصاية على مملكة بيت المقدس, مدعياً سببين هما: أولهما, أنه لم يأت إلى المملكة بقصد امتلاك السلطة " ولكنه جاء ليكرس نفسه لخدمة الرب التي هي هدف زيارته", وأن من خطته ألا يتحمل أية مسئولية, حتى يكون حراً فى العودة إلى بلده إذا تطلبت مصالحه هناك ذلك, كما أضاف أنه سيمتثل الطاعة حيال من

يعينه الملك كوصي, شأنه في تلك الطاعة كشأنه تجاه مولاه ملك فرنسا(147). وثانيهما, أنه جاء لتزويج ابنتي عمه الأميرتين سيبيلا وايزابيلا(148) .

أما عن أسباب رفضه المشاركة في الحملة على مصر فقد قدم ثلاثة أعذار: أنه يجهل جغرافية المنطقة, ويجهل نواحيها وبخاصة مصر, التي يتزامن فيها فيضان النيل, وأنه سمع أن حشداً من "الترك" المسلمين قد مضوا إلى مصر للدفاع عنها, وأضاف إلى هذين السببين سبباً ثالثاً, وهو أنه يخشى المجاعة التي قد تتفاقم بسبب ندرة التموين أثناء زحفهم على مصر(149).

لقد اعتبر وليم الصوري هذه الأعذار واهية, وأنها مجرد أعذار أراد بها فيليب تبرير إحجامه عن مساعدة الملك المريض في النهوض بأية مشاريع قد تقيل المملكة من عثرتها(150). ولكن إذا نحينا رواية وليم الصوري جانباً لتحاملها على الكونت فيليب. وأمعنا النظر في الأسباب الثلاثة المتعلقة بإشكالية رفض الكونت للمشاركة في الحملة على مصر, يتضح أن السبب الأول فقط هو الذي كانت له قوته, مع الأخذ فى الاعتبار أن ادعائه بأن مصر على أبواب الشتاء أمراً يحتاج إلى تفسير, فقد كانت حماة وحارم التي توجه الكونت لغزوها كانت أيضاً تتعرض للظروف المناخية نفسها, فكانت على أبواب الشتاء أيضاً. كذلك فإنه في رسالة من صلاح الدين إلى بغداد من إنشاء القاضي الفاضل, يستفاد منها أن بلاد الشام كانت تتعرض إلى موجة من الجدب العام "..وكان أن خرج الفرنج إلى البلاد الشامية .. غادرين غدراً صريحاً, مقدرين أن يجهزوا على الشام لما كان بالجدب جريحا, ونزلوا على ظاهر حماة ...". أما السبب الثاني فليس لدينا ما يدعم صحته, بخاصة إذا علمنا أن بلاد الشام كانت على أبواب سنوات عجاف, مما يعني أن صلاح الدين لا يمكن أن يأمل مساعدة عاجلة ممن أسماهم كونت فلاندرز "الأتراك" والذي ربما يقصد بهم الحلبيين والمواصلة. أما السبب الثالث فيبدو غير مقنع بعض الشيء. والراجح أن تلك الأمور أُخذت بعين الاعتبار من قبل الملك بلدوين الرابع ونبلائه, وفي محاولة من الملك فى التغلب على تلك العلل فقد عرض على الكونت ستمائة جمل لنقل المئونة والسلاح وغير ذلك من المتاع عن

طريق البر, كما وعد الملك بإمداد الكونت بما يحتاجه من السفن لحمل الذخائر والآلات الحربية وكل مستلزمات القتال, لكن الكونت رفض كل هذه العروض رفضاً قاطعاً, وزاد على ذلك أنه لن يمضي إلى مصر تحت أي الظروف مخافة من شبح المجاعة التي قد تنزل به هو وعسكره على غير توقع. ثم أضاف الكونت أنه يسعى هو وعسكره إلى نصر سهل بجهود قليلة على بلد غني يحقق طموحات جنوده(151).

الواقع أنه كان هناك سبب يبدو أكثر منطقية وراء رفض كونت فلاندرز مهاجمة مصر لمساعدة مملكة بيت المقدس. وهو محاولة كل من ريموند الثالث كونت طرابلس, وبوهيموند الثالث أمير أنطاكية إبعاد كونت فلاندرز عن تقديم خدمات للمملكة الصليبية, وكان لكل من ريموند الثالث وبوهيموند الثالث أسبابهما في ذلك. بالنسبة لريموند, فإن الوصاية قد ضاعت منه على المملكة في هذه السنة (1177م) وتم تعيين رينو دي شاتيون مكانه, والذي لا حدود لأطماعه , وهو أمر أغضب ريموند. أما بوهيموند الثالث فقد أراد الاستفادة من خدمات فيليب كونت فلاندرز بالتوسع في شمال الشام, واستعادة حماة وحارم من يد المسلمين(152) .

والواقع أن اختيار الحملة الفلمنكية لغزو حماة وحارم, على وجه التحديد, يؤكد أن كلاً من بوهيموند الثالث, وريموند الثالث قد قاما بمناورة أدت إلى جذب فيليب إليهما مما أدى إلى فشل الملك بلدوين الرابع في الإفادة من جهود الحملة الفلمنكية في غزو مصر. وقد صرحت المصادر المعاصرة بذلك حيث ذكرت أن الأميرين بوهيموند الثالث وريموند الثالث اجتهدا في شد انتباه كونت فلاندرز إلى أراضيهما للقيام بعمل مشترك من شأنه أن يزيد من أملاكهما في شمال الشام ووسطه, وبخاصة وأنهما قد وقفا على الأعذار التي انتحلها فيليب كي لا يشترك في الحملة على مصر, ووجدا أن المشاريع التي يمكن أن يساهم فيها بقواته تنطبق تماما على ما دبراه لنفسيهما من مشاريع(153).

أما عن أحوال حماة وحارم وجارتيهما حلب فقد كانت مضطربة بعض الشيء وربما مناسبة لخطة غزو الحملة الفلمنكية, فبالنسبة إلى حماة فقد كانت اختياراً جيداً كهدف

للسيطرة, فالملك الصالح لم يكن يتوقع منه مساعدة حامية صلاح الدين التى كانت تتولى حماية حماة(154) وطبقاً لرواية ابن الأثير فإن فيليب كان على علم بخلو حارم من الدفاع لأن شمس الدولة بن أيوب كان بدمشق ينوب عن صلاح الدين وليس لديه عدد كثير من العسكر, كما أن صاحب مدينة حماة وهو شهاب الدين محمد الحارمي- خال صلاح الدين - كان شديد المرض(155).

أما حارم فلم تكن أحوالها بأفضل من حماة, فقد أجمعت المصادر المعاصرة بأن أحوالها كانت مختلة في ذلك الوقت. فقد كان والي حصن حارم "سعد الدين كمشتكين" تجمعه مع الملك الصالح إسماعيل ابن نور الدين محمود علاقات عدائية حيث كان يشعر كمشتكين أن الملك الصالح ينوي اعتقاله, بسبب تقربه من الصليبيين, وقد زاد خصوم كمشتكين هذا الشعور لدى الملك الصالح(156), لذا فقد مال كمشتكين إلى التحالف مع الصليبيين, حيث أقسم له بوهيموند الثالث أن يحميه ويساعده ضد "أعداءه" الحلبيين(157).وأضاف ابن العديم أن سعد الدين كمشتكين راسل الصليبيين ووعدهم ببيع حصن حارم لهم مقابل مبلغ من المال, وليثبت حسن نيته لهم, قام بإطلاق سراح بعض الأسرى الصليبيين المحتجزين هناك(158). الأمر الذي صعد التوتر بين الملك الصالح وكمشتكين, وترتب عليه أن ألقى الملك الصالح القبض على كمشتكين وطلب منه تسليم حارم, فرفض فأمر الملك الصالح بقتله(159).

أما بالنسبة لحلب "فعسكرها قليل, وملكها الصالح صبي, وصلاح الدين بعيداً عنها بمصر لا يستطيع الدفاع عنها", هكذا ظن الصليبيون حسب رواية ابن الأثير(160). بهذه الصورة كان الطريق ممهداً أمام بوهيموند كي يستولي على حصن حارم الذي يفصل بينه وبين حلب. لذلك لم يجد صعوبة فى إقناع كونت فلاندرز بمساعدته فى الاستيلاء على هذا الحصن, وبخاصة إذا ما عرفنا أن سهولة الاستيلاء عليه تناسب طبيعة المشروعات التى ذكرها فيليب للملك بلدوين الرابع فى حضور كل من ريموند وبوهيموند اللذين من المؤكد أنهما أطلعا فيليب على أحوال حلب. وربما فكر فيليب في عدم العودة إلى أوربا دون

أن يحقق شيئاً, وربما كان الأنسب له أن يساعد بوهيمند في الاستيلاء على حارم من المسلمين, مستغلاً غياب صلاح الدين عنها, ومن ثم رحل بوهيموند إلى أنطاكية ليعد نفسه وقواته لهذا الأمر(161) .

أما بالنسبة لفيليب كونت فلاندرز فبعد فترة قضاها فى تضليل الملك بلدوين الرابع بالتظاهر بالموافقة على الاشتراك في الحملة على مصر, رحل فيليب بصحبة كونت طرابلس إلى أنطاكية, وقد قدم له الملك بلدوين الرابع إمدادات قدرت بمائة فارس وحوالي ألفين من المشاة(162) وكان السبب الذي دفع الملك بلدوين الرابع إلى ذلك هو أنه تلقى سفارة في بيت المقدس من قبل كونت فلاندرز, وكانت السفارة برئاسة المحامي بيثون – أحد الذين رافقوا حملة الكونت – ومجموعة أخرى من المفاوضين, وقد تشاوروا مع المملكة حول حملة يقوم بها الكونت بمعونة مملكة بيت المقدس "حتي لا يعتبر الكونت في نظر الناس متراخيا, أو أنه أمضى وقته بلا عمل", واتفق الكونت فيليب, وبلدوين الرابع, وبوهيموند الثالث, وريموند الثالث على مهاجمة مدينتي حماة وحارم(163) .

ومن المرجح أن الملك بلدوين الرابع أراد الإفادة من الحملة الفلمنكية لمهاجمة الأراضي الإسلامية التي يسيطر عليها صلاح الدين, ومحاولة إسقاط حماة وحارم التي كانت تفصل بين الأراضي الصليبية وحلب. وربما كانت خطط الصليبيين تتجه إلي محاولة السيطرة على حلب نفسها, وذلك للحيلولة بين صلاح الدين وبين مشروعه في توحيد الجبهة الإسلامية, والتي لم تكن خارج نطاقها سوى حلب والموصل آنذاك.

على أية حال, فقد سارت الحملة الفلمنكية إلى شيزر(164). ثم توجه كونت فلاندرز إلى طرابلس, وبعد أن اتخذ كل الاستعدادات اللازمة للحرب خرج بصحبة ريموند الثالث كونت طرابلس قاصداً حماة فوصلوها يوم الاثنين فى الرابع عشر من نوفمبر 1177م, وفي اليوم التالي بدأ الحصار ولمدة أربعة أيام لم يحقق الصليبيون شيئاً, "ولم يظفروا بطائل"(165). وفي رسالة لصلاح الدين إلى الخليفة العباسي في بغداد حول هذا الموضوع, جاء فيها أن القتلى من الصليبيين زاد على ألف رجل, لذلك انسحبت الحملة الفلمنكية, بسبب

اتصال جيوش دمشق, وحمص, وبعلبك بعضها ببعض والتي كانت تخطط للهجوم على معسكر الصليبيين(166)

بعد أن فشلت الحملة على حماة, اتخذت الحملة طريقها إلى الشمال لينضموا إلى بوهيموند الثالث أمير أنطاكية, لتنفيذ الشق الآخر من الاتفاق, وهو الاستيلاء على حارم, والتي سيكون استردادها ذا قيمة خاصة بالنسبة لأنطاكية(167). فتوجها إلى حارم حيث قابلهم بوهيموند في الطريق حسبما تم الاتفاق من قبل(168)

كان أمر حارم فى ذلك الوقت في أيدي أتباع سعد الدين كمشتكين, الذين رفضوا إعادة قلعة حارم إلى الملك الصالح إسماعيل(169).الأمر الذي أطمع صليبي الحملة الفلمنكية في مهاجمة حارم(170), وقد انضم إلى تلك الحملة أيضاً عدداً من فرسان الداوية والإسبتارية, وروبين حاكم قيليقية الأرميني(171). وبعد أن اكتمل الحشد بدءوا فى حصار حارم مباشرة. ولم يحدد المؤرخون بصفة عامة تاريخ بدء هذا الحصار, ويرجح أنه كان في الثامن عشر من نوفمبر 1177م (172).

ومهما يكن من أمر, فقد بدأ الصليبيون في نصب معسكرهم حول حارم من كل ناحية, وحالوا بين من بها وبين الخروج, كما سدوا كل الطرق في وجه من يريد الاقتراب منها أو أراد مساعدة أهلها, كما قاموا ببناء أكواخ من الخشب, وسوروا معسكرهم بأسياخ قوية للمحافظة على أمتعتهم حتى لا تجرفها مياه الأمطار المتدفقة(173). وفي الوقت نفسه نصبوا المجانيق والسلالم استعدادا لاقتحام حارم(174) كذلك تسابق المسيحيون المقيمون فى نواحي حارم بحماسة في مساعدة الصليبيين حيث جلبوا المؤن من أنطاكية إلى المعسكر الصليبي والمناطق المجاورة لها " فندم من بحارم حيث لم يسلموها إلى الملك الصالح", بعد أن رأوا حماسة الصليبيين فى حصارهم (175)

لم يلبث أن هاجم الصليبيون أسوار حارم من الجهة الجنوبية, واستطاعوا أن ينقبوه, كما استطاعوا أن ينقبوا جزءاً من السور من الجهة الشمالية, غير أن السور انهار على من تحته مما أدى إلى توقف القتال(176). بالإضافة إلى ذلك يذكر وليم الصوري سبباً آخر

لتوقف القتال, وهو انغماس كبار رجال الحملة في مفاسد الشراب وغيرها من الملذات الجسدية, وألعاب الحظ, وانصرفوا عن أمور الحرب وأهملوا متطلبات الحصار(177), الأمر الذي مكن أهل حلب من إرسال من يطلب الأمان والنجدة من الملك الصالح في حلب. فبعث الأخير بقوات بقيادة الأمير "طمان" لدعم حامية حارم. فتسلل هؤلاء إلى الحصن أثناء الليل, واحتلوا القلعة وتقوى بهم من كان بحارم, بعد أن عوضوا خسائرهم في الرجال أثناء هجمة الصليبيين الأولى(178).

وفي الوقت نفسه أحدق جند الصالح بالمكلفين من الصليبيين بجلب المؤن إلى المعسكر الصليبي وأخذوا "يتخطفون من يمكنهم أخذه من الفرنج ويحفظون أطراف البلد". وهكذا انهارت معدات الحصار الصليبية, وانهارت معها الروح المعنوية للجنود, وبخاصة بعد أن صرح فيليب كونت فلاندرز برغبته في العودة إلى بيت المقدس(179) .

فى هذا الوقت كان "طومان" مبعوث الملك الصالح قد وصل إلى تفاهم مع كبار الحملة الصليبية. حيث عرض عليهم الرحيل عن حارم مقابل مبلغ من المال يعوضهم عما أنفقوه في حصارهم لها. كما هددهم بوصول صلاح الدين إلى الشام "فصلاح الدين واصل وما لكم بعد حصوله عندكم حاصل"(180) وذكر لهم أن من بحارم قد يسلموا إلى صلاح الدين قلعتهم"(181). ولا شك أن قيام صلاح الدين بنجدة حارم لن يكون في مصلحة أي من الطرفين (الحملة الفلمنكية – والزنكيين)(182), ولعل هذا يفسر سهولة الاتفاق الذي تم بين الملك الصالح وزعماء الحملة الفلمنكية .

وبعد أربعة أشهر من الحصار, وتحت إلحاح فيليب وفرسان الداوية على قبول العرض, وافق بوهيموند ورحلت الحملة الفلمنكية عن حارم في الثامن عشر من مارس 1178م (183)

لقد انتقد المؤرخون المحدثون أعمال الحملة الفلمنكية, وكان أكثر المنتقدين هو المؤرخ الفرنسي جروسيه, الذي اعتبرها قصر نظر في التفكير السياسي الصليبي, وذلك لأن الزنكيين في حلب هم حلفاء طبيعيون للقوى الصليبية, وتجمعهما مصالح مشتركة أهمها

الوقوف في وجه صلاح الدين, وكان الأجدى أن يحافظوا على علاقة الود معهم ليكسبوا ثقتهم, ويدعموا الجبهة المعادية له(184).

على أن ما يهمنا هنا من نتائج الحملة الفلمنكية, انهيار التحالف الصليبي – الزنكي, حيث استغل صلاح الدين فرصة غياب فيليب كونت فلاندرز في شمال الشام ومعه معظم جيش المملكة, وقام بمهاجمة مملكة بيت المقدس, لتخفيف الضغط عن حارم, الأمر الذي أدى لوقوع معركة تل الصافية (مونتجيسارد)(185

من بين النتائج المباشرة أيضا للحملة الفلمنكية, فقدان الصليبيين لفرصة التحالف مع الحلبيين الذين طالما استنجدوا بهم ضد صلاح الدين. وهكذا قدر لمملكة بيت المقدس وملكها المجذوم أن يدفع ثمن اعتداء الحملة الفلمنكية على حماة وحارم(186).

أما عن علاقة مملكة بيت المقدس بالإمارات الصليبية (كونتية طرابلس, وإمارة أنطاكية), فالواقع أن تلك الإمارات شكلت جانباً في السياسة الخارجية للملك بلدوين الرابع, ويلاحظ اختلاف وتباين تلك السياسة من إمارة إلى الأخرى وفقاً لموقعها, وأهميتها بالنسبة للمملكة الصليبية. كما يلاحظ أن هذه السياسة كانت تصل أحيانا إلى حالة التحالف, وأحيانا أخرى إلى حالة العداء.

بصفة عامة, كان لملك بيت المقدس حقوق في تلك الإمارات تظهر عندما يخلوا العرش في إمارة من الإمارات, أو كان متولي الحكم حدثاً صغير السن, أو حين يقع نزاع سواء داخل الإمارة أو بين إمارتين, فإذا مات أمير من الأمراء دون أن يترك وريثاً في سن البلوغ, صار لملوك بيت المقدس الحق في أن يكونوا أوصياء(187).

أما بالنسبة لعلاقة مملكة بيت المقدس بكونتية طرابلس في عهد الملك بلدوين الرابع, فقد بدأت أول اتصالات بينهما, عقب تولي الملك بلدوين الرابع الحكم خلفاً لأبيه الملك عموري سنة 1174م, حيث تولى ريموند الثالث كونت طرابلس الوصاية على بلدوين الرابع(188), وقد تولى ريموند الوصاية مرتين, الأولى امتدت سنتين (1174-1176م), والثانية امتدت أيضاً سنتين (1183-1185م)(189). وكانت هذه هي المرة الأولى التي

يتولى فيها أمير إمارة صليبية الوصاية على المملكة, إذ جرت العادة أن يتولى ملوك بيت المقدس الوصاية على بقية الإمارات.

ومنذ ذلك الحين بدأت العلاقة تأخذ شكل الريبة والشك, بل والعداء المتبادل بين الطرفين(190). يوقفنا وليم الصوري على أسباب العداء بين بلدوين الرابع وأمراء الدويلات الصليبية (طرابلس وأنطاكية), فيذكر أنه في سنة 1180م قدم إلى المملكة ريموند الثالث كونت طرابلس, وبوهيموند الثالث أمير أنطاكية ومعهما مجموعة من الفرسان لحراستهما, الأمر الذي أزعج الملك بلدوين الرابع أشد الانزعاج, حيث شك في أسباب قدومهما, وظن أن هذين الأميرين ما جاءا إلا للإطاحة به عن العرش, والاستيلاء على المملكة(191)

ومن جانب أميري طرابلس وأنطاكية, فقد غضبا من نظرة الملك وباروناته إلى قدومهما بعين الشك والارتياب وعدم الارتياح, لذلك كرا راجعين إلى ديارهما بعد أداء مراسم الحج(192).

والواقع أن هذا الموقف تسبب في قطع العلاقات بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس لمدة عامين, وبذلك فقد الملك مساعدة أمير طرابلس. لذلك نرى في مايو1180م أن مملكة بيت المقدس تعقد بمفردها هدنة مع صلاح الدين لمدة عامين(193), ولم تشمل تلك المعاهدة كل الصليبيين في بلاد الشام, حيث شملت مملكة بيت المقدس وحدها دون بقية الإمارات الصليبية الأخرى(194) لهذا أطلقت هذه الهدنة يد صلاح الدين في شمال الشام, فقد استغل صلاح الدين عدم شمول هدنته بقية الإمارات الصليبية فهاجم كونتية طرابلس, مما اضطر كونت طرابلس ريموند الثالث إلى الإسراع بعقد هدنة مماثلة لهدنة بلدوين الرابع مع صلاح الدين(195) .

في عام 1182م توترت العلاقات مرة أخرى بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس, وذلك لأن مجموعة من رجال طرابلس أوغروا صدر الملك بلدوين الرابع ضد كونت طرابلس ريموند الثالث, وأوهموا الملك بلدوين الرابع أن الكونت ينوي القدوم إلى مملكة بيت المقدس لخلعه عن العرش والجلوس مكانه, وقد أصغى الملك لتلك

الوشاية(196),ولم يقف الأمر عند هذا الحد, بل زادت الشكوك لدى الملك بلدوين الرابع وبخاصة بعد أن أقنعته أمه آجنيس, وخاله جوسلين الثالث أن الكونت ريموند يتآمر عليه, لهذا بادر الملك في الحال بإرسال رسالة إلى الكونت ريموند الثالث يرفض فيها السماح له بدخول مملكة بيت المقدس, ومنعه من دخول أملاك زوجته بالجليل وطبرية(197) .

لقد أغضبت هذه الرسالة الكونت ريموند وعدها إهانة له وجرحاً لكبريائه, ولذلك عاد يشتط غضباً إلى طرابلس(198). واستنادا إلى رواية وليم الصوري فقد كان من مصلحة قلة من النبلاء إبعاد ريموند الثالث عن الملك بلدوين الرابع, وذلك للسيطرة على الملك, واستغلال مرضه وضعفه في تحقيق مصالحهم الشخصية(199) .

أما أغلب نبلاء المملكة وبخاصة النبلاء المحليون فقد انزعجوا أشد الانزعاج حينما علموا بخبر العداء بين الملك والكونت, فقد خافوا أن يؤدي حرمانهم من حماية كونت طرابلس لهم إلى سقوط المملكة في يد المسلمين, "وعندئذ يحق عليهم مقولة: كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب(200) .

عندئذ توسط بعض بارونات المملكة – ولعلهم من حزب البارونات الوطنيين – فى الصلح بين الكونت ريموند الثالث والملك بلدوين الرابع, حيث قبل الملك " كارها أن يرى ريموند الثالث" الذي استطاع أن يبرئ ساحته من تلك التهم التي ألصقت باسمه(201). وبعدها عاد السلام بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس, وعهد الملك بلدوين الرابع لريموند الثالث بالوصاية على ولي العهد بلدوين الخامس, وذلك فى العشرين من نوفمبر سنة 1183م, واستمر ريموند وصياً على المملكة حتى بعد وفاة الملك بلدوين الرابع سنة 1185م(202).

يتضح مما سبق, أن العلاقة بين مملكة بيت المقدس وبين كونتية طرابلس كانت علاقة وصاية وتبعية في بعض الأحيان, وفي بعض الأحيان الأخرى كانت تشهد حالات من القلق والاضطراب.

أما عن علاقة المملكة بإمارة أنطاكية, فقد كانت علاقة مختلفة عن علاقتهم بإمارة

طرابلس وذلك ربما لبعد إمارة أنطاكية عن مملكة بيت المقدس, بخلاف طرابلس التي كانت قريبة بعض الشيء .

كان بوهيموند الثالث أمير أنطاكية تربطه ببلدوين الرابع علاقة قرابة ربما تقف على قدم المساواة مع قرابة ريموند الثالث لبلدوين الرابع(203). لذلك كان من حق بوهيموند الثالث أن يطالب بالوصاية على الملك بلدوين الرابع, ومع ذلك لم يتقدم للمحكمة العليا بطلب الوصاية كما فعل ريموند الثالث, ربما بسبب مشاغله الداخلية من ناحية, وبُعد الإمارة عن المملكة من ناحية أخرى, وفي هذه الحالة يكون كونت طرابلس هو الأفضل لتولي الوصاية إذ يمكن لكونتيته أن تبادر بتقديم النجدات لمملكة بيت المقدس بسرعة أكبر من نجدة أنطاكية(204)

ومع ذلك قدر لبوهيموند الثالث أمير أنطاكية أن يلعب دوراً سلبياً في سياسة مملكة بيت المقدس, حيث قام بوهيموند بما كان من شأنه أن يشغل الملك بلدوين الرابع ومملكته, وعرض سوء سلوكه المملكة والإمارة إلى الخطر(205) .

فقد استغل بوهيموند موت مانويل كومنين إمبراطور بيزنطة سنة 1180م, وقام بتطليق زوجته تيودورا – ابنة يوحنا أخو الإمبراطور مانويل كومنين, وأخت ماريه أرملة عموري الأول – واتخذ لنفسه امرأة ساقطة تدعي "سيبل" Sibylle(206) كخليلة له, والتي وصفتها المصادر بأنها "امرأة ساقطة, غير شريفة"(207), وكان ارتباط بوهيموند بها وبالاً على الصليبيين عامة, وعلى إمارة أنطاكية بصورة خاصة. ويؤكد ذلك ما ذكره ابن الأثير من أنها كانت تقوم بالتجسس على الصليبيين لحساب صلاح الدين حيث كانت "تراسله وتهاديه, وتعلمه بالأمور التي تؤثر", وزاد أبو شامة على ذلك قوله وكانت "في مولاة السلطان, عيناً له على العدو"(208) لهذا حاول بطريرك أنطاكية فى إقناع بوهيموند بأن يترك حياة " الدعارة الخسيسة التي يحياها جهراً" (209).ولما عجز عن ذلك, أصدر البطريرك قرار الحرمان ضد بوهيموند, كما أصدر قرار الحرمان أيضاً ضد الإمارة بأسرها, فألغى قرع الأجراس, حتى لم يعد يدفن الموتى, وتوقفت بذلك حركة الحياة في الإمارة, لكن

بوهيموند لم يمتثل لذلك القرار واستمر فى خطيئته, وعامل البطرك والأساقفة الأنطاكيين كما لو كانوا أعدائه, ولم يتورع عن نهب ما حوته الكنائس والأديرة من النفائس المقدسة(210). ويذكر وليم الصوري أن بوهيموند الثالث حاصر البطريرك وبقية رجال الدين في قلعة تابعة للكنيسة, وقام بضرب القلعة "كما لو كانت قلعة من قلاع العدو".واشتعلت بذلك حرب أهلية في الإمارة(211) ورأى أصحاب الخبرة أنه إن لم يحل ذلك النزاع فإن الإمارة سوف تسقط في يد المسلمين(212).

إزاء هذه المشكلة, وبدلاً من التفرغ لمواجهة صلاح الدين اضطر الملك بلدوين الرابع إلى التدخل لإنهاء النزاع بين الأمير والكنيسة. حيث عقد الملك بلدوين الرابع مجلساً حضره هرقل بطريرك بيت المقدس, وعدد من كبار النبلاء ورجال الدين, وتشاوروا فيما ينبغي اتخاذه من سبيل لحل المشكلة في أنطاكية, وخلال المجلس استبعد الملك بلدوين الرابع استخدام القوة في حل تلك المشكلة, خوفاً من أن يستغل المسلمون هذا الانقسام في الإغارة على الكيان الصليبي, أو خوفا من لجوء بوهيموند إلى صلاح الدين, ورأى الملك البدء بإرسال وفد للأمير بوهيموند الثالث لإسداء النصح والتحذير له, لإنهاء النزاع بينه وبين كنيسة إمارته(213).

كان الوفد الذي أرسله الملك بلدوين الرابع لإمارة أنطاكية على رأسه هرقل بطريرك بيت المقدس, وبصحبته رينو دي شاتيون (أرناط) ومقدمي الداوية والإسبتارية فضلاً عن بعض كبار رجال الدين بالمملكة, واصطحبوا معهم أيضاً ريموند الثالث كونت طرابلس الذي كان أشد الناس مودة لبوهيموند الثالث(214) .

وطبقاً لرواية وليم الصوري فإن الداعي الذي جعل الملك بلدوين الرابع يتدخل من أجل حل النزاع في إمارة أنطاكية, هو تخوفه من أن ترميه البابوية والغرب الأوربي بالإهمال, وخوفا من أن يُتهم بسوء النية ولؤم القصد(215).لذلك فعندما وصل وفد المملكة إلى اللاذقية, عقدوا اتفاقاً بين الأمير بوهيموند الثالث وبين بطريرك أنطاكية, ونص الاتفاق على إلغاء قرار الحرمان عن بوهيموند الثالث, مقابل أن يقوم بطرد خليلته

سيبيلا, ويرد زوجته الشرعية تيودروا, وأن يقوم الأمير برد جميع الممتلكات الكنسية التي استولى عليها إلى بطريرك وأساقفة الإمارة(216). وبذالك نجحت جهود الملك بلدوين الرابع في حل الأزمة في أنطاكية .

إلا أن التوتر بين بوهيموند الثالث وباروناته زاد لدرجة أن بوهيموند قام بنفي عدد من كبار نبلائه, والذين فروا إلى أرمينيا, وهناك استقبلهم أميرها "روبين الثالث Robin " III1175- 1185م)(217) أحسن استقبال, الأمر الذي أوجد عداءاً بينه وبين بوهيموند الثالث, ولحسن حظ الصليبيين أن صلاح الدين لم يخرج من مصر في تلك الفترة التي شغلوا فيها بمشاكلهم الداخلية التي كان لبوهيموند الفضل في إثارتها إلى حد كبير.والواقع أن سياسة بوهيموند تلك حرمت الصليبيين في بلاد الشام من مساعدة بيزنطة،وأرمينيا, وقبرص،تلك المساعدة التي كانوا في حاجة إليها لتجنب هذه الكارثة(218).

ومما لا شك فيه أن تلك الأحداث تركت أثارها على العلاقات بين المملكة والإمارات الصليبية، ولا شك أن مثل تلك الصراعات وغيرها أجهزت على جانب كبير من قوة الصليبيين،وأدت إلى انتشار القلاقل والاضطرابات, كما أنها أثرت على الأوضاع السياسية في مملكة بيت المقدس،وصارت الإمارات الصليبية مجرد حلف مفكك ومهدد بالانهيار(219).

ذلك عرض لسياسة الملك بلدوين الرابع الخارجية مع البابوية، والغرب الأوربي،وبيزنطة،وبقية الإمارات الصليبية

الهوامش

(1) محمود محمد الرويضي: " قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام زمن الحروب الصليبية "مجلة الآداب والعلوم الإنسانية, جامعة المنيا, عدد (41), يوليو 2001م, ص570.

(2) يوشع براور: الاستيطان الصليبي, ص193, 244.

(3)La Monte, Feudal Monarchy, p.203

(4)John G. Rowe, " Alexander III and the Jerusalem Crusade and overview of Problems and Failures " in M.M., p. 112

(5)Ibid., p.112

(6) بلغ الصدام بين فردريك باربا روسا والبابا اسكندر الثالث مرحلة حرجة من التوتر حول مسألة التقليد العلماني, خاصة بعد أن عقد باربا روسا مجلساً في مدينة بافيا أعلن فيه شرعية البابا المعارض فيكتور الرابع وذلك نكاية في البابا الشرعي اسكندر الثالث, الأمر الذي شغل البابا اسكندر الثالث عن لعب أي دور فعلي تجاه المملكة خلال الفترة من 1159 وحتى 1177م وهو العام الذي شهد الصلح بين البابا اسكندر الثالث وبين فردريك باربا روسا. انظر: اسحق عبيد: روما وبيزنطة, ص272-273, 277.

(7) ماير: تاريخ الحروب الصليبية, جـ1, ص185.

(8)Hamilton, The Leper King, p. 164.

(9)Rowe, " Alexander III and the Jerusalem", p.129

(10)Migne (J.P.), P.L., Vol. 200, pp.12 96-1297 See also: Rowe, op. cit., p.129

(11)Roger of wendover, Flowers of History, tran. From Latin by Gilles J. A. ,(London 1849), vol. II, p.

(12) اسحق عبيد: روما وبيزنطة, ص286.

(13) Lilie, Byzantium, P. 215.

(14) عن الحملة الفلمنكية. انظر: ما يتقدم من هذا البحث .

(15) Krey (A.C.), "William of Tyre", Spec. Vol. 16, No. 2, p.160, Note 1,p. 157. See also: Baldwin, Raymond III, pp. 31-33

مجمع اللاتيران الثالث: عقد هذا المجمع في روما, وقد حضره ثلاثمائة وعشرة أساقفة, من المندوبين من ايطاليا, وفرنسا, وانجلترا, والدنمارك, وأيرلندا, واسكتلندا, وألمانيا, وأسبانيا, وهنغاريا, والممالك الصليبية في الشرق, وقد أقر هذا المجلس سبعة وعشرين تشريعاً كنسياً, ما يهمنا منهم قرارين هما: القرار رقم خمسة وعشرين الذي نص على تحريم الاتجار مع المسلمين وتحريم بيع الأسلحة لهم. والقرار الآخر: رقم سبعة وعشرين, والذي نص على أن يتملك الأشخاص المجذومين, الذين يعيشون فى عزلة عن المجتمع مُصلى خاص بهم مع كاهن لهم.انظر: مارينو سانوتو: كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها, إعداد ومراجعة: البروفسور بلليفرينورونكاليا والدكتور سمير الخادم, نقله إلى العربية الأب سليم رزق الله, مؤسسة دار الريحاني, ط.بيروت 1991م, ص7-8؛ روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ, ضمن كتاب الموسوعة الشامية, ج39, ص297-298.

وللمزيد عن تفاصيل مجمع اللاتيران الثالث وقراراته. انظر:

Third Lateraum Council (1179) in Catholic Encyclopedia .in www. Medieval Source book .com

(16) مارينو سانوتو: كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب، ص7-8

(17) عفاف سيد صبره: العلاقات بين الشرق والغرب, علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من 1100-1400م, دار النهضة العربية, ط.القاهرة 1983م, ص85-86.

(18) Baldwin , The Decline, in Setton, Vol. I, p. 596.

(19) مارينو سانوتو: المصدر السابق, ص8.

(20) Migne (J.P.), P.L., Vol.200, pp.1294-1297 ; Rowe, " Alexander III and the Jerusalem", p.130.

(20) عن نص الرسالة انظر:

Migne (J.P.), P.L., Vol. 200, pp. 1296-1297.

(21)Hamilton, The Leper King, p. 164.

(22)ماير: تاريخ الحملات الصليبية, ج1, ص187؛ اسحق عبيد: روما وبيزنطة, ص286. وانظر أيضاً :

Deschamps , La Défense , pp. 65-66.

(23)عن نص رسالة البابا لوسيوس الثالث إلى الملك هنري الثاني. انظر: روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ, ضمن كتاب الموسوعة الشامية, ج39, ص311-312 .

(24) Mayer, Henry II, p727.

(25) محمود الرويضي: قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام, ص577.

(26) Saphadini, totius multitudinis Sarracenorum domini, Fratris Saladini, ad Lucium Papaum, de eodem negotio, March 31, 1183" in RHGF, t. XVII, p.623 ; Rohricht (R.), Regesta, no.626, p.166.

وأيضاً انظر: نظير سعداوي: الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي, مكتبة النهضة المصرية, ط.القاهرة 1961م, ص18-19؛ عادل عبد الحافظ حمزة: العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط.القاهرة 2001م ص391-392.

(27) Saladini, omnium Regum Orientalium Facienda mutua Perumutatione Captiverum tam Christianorum quaum Sarracenorum, in RHGF, t. XVII, p.623; Rohricht (R.), Regesta, no.635, p.168.

(28) محمود الرويضي: المرجع السابق, ص577-578.

(29) عن نص رسالة الملك بلدوين الرابع الى البابوية والغرب الأوربي سنة 1184م أنظر:

Balduini IV, Regis Jerosolymitani, ad Partes Occidentales Profectos ad Perquirendum anxilium christianis Terrae Sanctae, de Statu Terrae Sanctae, 1184, in RHGF, t. XVII (Paris 1778), p.624

وانظر أيضاً: ملاحق الرسالة, ملحق رقم 4.

(30) ماير: تاريخ الحملات الصليبية, جـ1, ص188.

(31)Hamilton, The Leper King, p. 164.

(32)Ibid., p. 64.

(33)Hamilton, "Manuel I Commenus and Baldwin IV of Jerusalem", in Crusaders, Cathars and the Holy Places, pp. 354-355

وانظر: محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية, ص355–356.

(34) Lilie, Byzantium, P.

(35)Ibid., P.

(36) Hamilton, "Manuel I Commenus and Baldwin IV of Jerusalem", pp. 354-355

(37) عن الآراء المختلفة فى تفسير أسباب رفض مانويل للزواج من الأميرة ميليزند. انظر: Kinnamos, Deeds, pp.158–160 ; Choniates, Annales, pp. 65-66 ; Lilie, Byzantium, pp.184- 185 وانظر أيضاً: إسحق عبيد: روما وبيزنطة, ص224–225.

(38) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص449.

(39)Lilie, op. cit., P.217.

عن زواج بليان ابيلين من ماريه انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص211.

(40)Lilie, op. cit., P.

(41)Hamilton, Hamilton, "Manuel I Commenus and

Baldwin IV of Jerusalem", p. 355
(42)Lilie, Byzantium, P.
(43)Ibid., P.217
(44) روبرت كلاري: فتح القسطنطينية على يد الصليبيين, ت. حسن حبشي, القاهرة 1964م, ص51-52.
(45)Hamilton, "Manuel I Commenus and Baldwin IV of Jerusalem", p. 355
(46)Lilie, Byzantium, P.

(47)عن تفاصيل أوضاع بيزنطة خلال تلك الفترة , وتوتر علاقتها مع البندقية, وألماني, وصقلية, والسلاجقة. انظر:
Kinnamos, Deeds, p. 211-224 ; Lilie, op. cit., PP.210-211, 315-316.
(48)عن تفاصيل معركة ميروكيفالون انظر:
Kinnamos, Deeds, pp. 221-224; Choniates, Annales, pp. 99-112; Vasiliev A. A., History of the ByzantineEmpire, Vol.II, pp. 428-429 ;Lilie, op. cit., pp.211-214.
وأنظر أيضاً: علي عودة الغامدي "معركة ميروكيفالوم 1176م", مجلة كلية الشريعة, جامعة أم القرى. مكة المكرمة, العدد (1), عام 1409هـ, ص123-150؛ محمد زكي نجيب: علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين (1081-1185م) رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب-جامعة القاهرة عام 1988م, ص184وما بعدها؛؛ سعيد عمران: السياسة الشرقية, ص339-354؛ محمد مؤنس عوض: الإمبراطورية البيزنطية, دراسات في تاريخ الأسر الحاكمة, ط.القاهرة 2008م, ص326-328.
(49)رنسمان: الحروب الصليبية، م جـ2، ص667. وانظر :
Hussey, "Byzantium and the Crusades, 1081-1204", (ed.)

Setton, vol.2, p.140.

(50) رنسمان: المرجع السابق، م جـ 2، ص668.

(51)نفسه، م جـ2، ص668.

(52) حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص179-180.

(53)Hamilton , The Leper King, p.112.

(54) وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص209. وأنظر:

Lilie, Byzantium, P.119.

(55) عن نص رسالة مانويل إلى البابا اسكندر الثالث. انظر:

Manuelis I Comnenus, Graecorum Imperatoris, ad Pope Alexander III in R.H.G.F., T. XVI p. 952

(56) تشكلت العصبة اللومباردية فى مايو 1177م, عقب عقد مؤتمر البندقية أبريل 1177م الذي حضره كل من البابا اسكندر الثالث (1159-1181م) والإمبراطور فردريك بربروسا, وممثلي قومونات المدن اللومباردية بشمال ايطاليا, حيث تم الاعتراف باستقلال هذه القومونات, وتم التصالح بين البابا والإمبراطور, وبذلك انتهت الخلافات بين البابوية وألمانيا والمدن اللومباردية, وتلك الخلافات التى اعتاد مانويل أن ينتفع بها لتحقيق سياسته فى أوربا. وتعتبر هذه الاتفاقية ضربة موجهة لسياسة مانويل, وأصبحت بيزنطة هي التي تحتاج الحماية. وهكذا كان موقف مانويل فى أوربا ضعيفا للغاية. فهو عضو غير مقبول في الأسرة الأوربية أو كحليف للإمبراطورية أو للبابوية التي تهيمن على القضية الصليبية. انظر: حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص180-181.

(57)Hussey, "Byzantium and the Crusades, 1081-1204", (ed.) Setton, vol.2, p.137.

(58) وليم الصوري:الحروب الصليبية, جـ4, ص205, 207.

(59)Lilie, Byzantium, P. 319

(60) وليم الصوري: المصدر السابق, جـ4, ص205, 207.

الواقع أن المصادر البيزنطية لم تعطنا أية إشارات حول حملة 1177م وهو أمر يدعو للتساؤل ؟. فالمؤرخ البيزنطي كيناموس لم يشر إلى الحملة الصليبية البيزنطية على مصر لا من قريب ولا من بعيد, وكل ما ورد لديه فى نهاية كتابه هو أن الإمبراطور مانويل بعث بعد ربيع

عام 1176م, بمائة وخمسين سفينة حربية لغزو مصر, بينما ذهب هو نفسه بقواته لمحاربة قلج ارسلان. ولذلك افتقر إلى القوات الكافية للحملة ضد مصر, وهنا توقف كلامه عن هذا الموضوع, ومن ثم جاءت معلوماته ناقصة ومبتورة فى هذا الشأن, وبعدها واصل كلامه عن هزيمة الإمبراطور فى ميريوكيفالون ثم واصل كلامه حتى وفاة مانويل ثم انتهى تاريخه عند ذلك الحدث. أما خونيتاس فقد لازم الصمت حول موضوع الحملة؟. انظر:

Kinnamos, Deeds, p. 224 ; Hamilton, The Leper King, p. 164 .

(61)Ernoul, Le Chronique, pp. 33- 34.

(62) Lilie, Byzantium, P.218.

(63) Ibid., P.218

وانظر:

Mayer (H.E.), "Henry II and the Holy Land", in E.R.H., 97 (1982), p.727

(64) وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص205-206.

(65) نفسه, جـ4, ص206.

(66) نفسه, جـ4, ص210.

(67) Byzantium, PP. 319-320

(68)Le Royaume Latin de Jérusalem , p. 55

(69)Mayer (H.E.), "Henry II and the Holy Land", in E.R.H., p.727.

(70) محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية, ص360.

(71) ليون وديفيد جاكسون: صلاح الدين, ص144.

(72) كان صلاح الدين يدرك أن الصليبيين يخططون لمهاجمة مصر. لكنه افترض بأن هذا يحدث بالارتباط والتعاون مع الأسطول الصقلي, ففي خطاب أرسله إلى الخليفة العباسي أطلعه أن ملك صقلية يستعد للهجوم على مصر بمساعدة الصليبيين. لذلك صرف السلطان صلاح الدين شتاء 1176-1177م يضع مصر وضع الاستعداد لهجوم مرتقب, فأشرف بنفسه على إكمال بناء الدفاعات الجديدة فى دمياط, والإسكندرية, وتنيس, كما بدأ بتقوية

وتجديد تحصينات أسوار القاهرة. وفي خطاب من إنشاء القاضي الفاضل, يُفهم منه أن السلطان أرسل سفارة إلى الجنويين لمفاوضتها فى استيراد مواد لبناء السفن. لكن لم تصل أية سفن من الجمهوريات الايطالية للرد عليه. لذلك حرك صلاح الدين جيشه إلى فاقوس غرب الدلتا, وفى نهاية يوليو 1177م استعد لصد هجوم الحملة الصليبية المشتركة. انظر: مالكوم ليون وديفيد جاكسون: صلاح الدين, ص139-143 وانظر:

.Hamilton , The Leper King, p. 116

(73)Lilie, Byzantium, P. 219

(74) محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية, ص360-361.

من بين المراجع التي هولت فى أمر هذا المشروع وذكروا أنه أضاع على الصليبيين فرصة لغزو مصر وفصلها عن الشام الإسلامية, ما ذكره المؤرخ ليلي Lilie الذي أشار إلى أن صليبي المملكة أضاعوا فرصة جيدة وبشكل حاسم لتحسين موقف الدول الصليبية. بينما اعتبر المؤرخ بلدوين مارشال هذه الحملة بمثابة فرصة ثمينة, أضاعتها المملكة, مُعتبراً أن كل الظروف كانت مواتية للصليبيين بعد أن وضعت بيزنطة إمكانيات قواتها البرية والبحرية لمشاركة الصليبيين فى غزو مصر

Archer and Kingsford, The Crusades, p.252; Brehier, Les Croisades, p. 340 ;Richard (J.) , Le Royaume Latin de Jérusalem, p. 56 ; Baldwin, "The Decline ", Vol. I, p. 595 ; Lilie, Byzantium, p. 320.

(75) وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص207.

(76) وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص209-210.

(77) رنسمان: تاريخ الحروب الصليبية، م جـ2، ص669.

(78)إسحق عبيد: روما وبيزنطة, ص279.

(79) الواقع أن تاريخ إقامة بلدوين ابيلين فى القسطنطينية غير محدد بالضبط, ومن المفترض أنه وصل إلى القسطنطينية قبيل فترة قصيرة من وفاة مانويل كومنين, وتسلم منه فديته التي قدرت بحوالي مائة وخمسين ألف دينار, ثم عاد الى المملكة.انظر:

Lilie, Byzantium , p.219, Note

(80)Ibid., p.219

(81)Ernoul, Le Chronique, p. 58 .

(82)Lilie, op. cit., p.

(83) وليم الصوري: الحروب الصليبية, مج4, ص257-259. وراجع أيضاً:

Lilie, Byzantium ,pp. 219-

(84)Ibid.,p.219

(85) روبرت كلارى: فتح القسطنطينية, ص51-52؛ رنسمان: تاريخ الحروب الصليبية، مج2، ص688.

(86)Hamilton, "Manuel I Commenus and Baldwin IV of Jerusalem", pp. 372-373

(87)Ibid., p.374

(88) عن تفاصيل هذه الأحداث. راجع:

Choniates, Annales, pp. 65-66 ; Hussey, "Byzantium and the Crusades, Setton, vol.2, p.145-146 .

(89)Hamilton, "Manuel I Commenus and Baldwin IV, p. 375

(90)Hussey, op. cit., vol.2, p. 146

وراجع: إسحق عبيد: روما وبيزنطة, ص284.

(91)Hamilton, op. cit., pp.374-375.

(92) عن تفاصيل الثورة على أندرونيكوس, وتولية إسحاق أنجيلوس. انظر:

Choniates, Annales, pp. 65-66 ; Hussey, op. cit., vol.2, p.146; Edgar H. Mcneal, The Story of Isaac and Andronicus, Spec., Vol.9, No.3 (Jul., 1934), pp.324-329.

وراجع: مجهول: ذيل وليم الصوري, ص34-39؛ روبرت كلارى: فتح القسطنطينية, ص58-59؛ رنسمان: الحروب الصليبية، م ج2، ص692-693.

(93)La Monte," To what extent, p. 264.

(94)La Monte," To what extent, p. 264 .

(95)Tyerman, England and the Crusades 1095-1588, University of Chicago Press, Chicago and London 2004, p.48.

لقد ناقش الباحث بالتفصيل قرابة هنري الثاني ببلدوين الرابع فى الفصل الأول من دراسته

(96) Tyerman, op. cit., p.43.

وعن تفاصيل ثورة هنري الثاني انظر :

The Annals of Roger de Hoveden, Comprising The History of England and Other Countries of Europe, From A.D. 782 To A.D. 1201, Trans. From The Latin By Henary T. Riley, 2 vols., (London 1853), vol. I, pp. 374-382.

(97) زينب عبد القوي: الإنجليز والحروب الصليبية, ص100.

(98)زينب عبد القوي: الإنجليز والحروب الصليبية, ص100. للمزيد أنظر:

Tyerman, op. cit., pp.45-47.

فى عام 1170م أعطي هنري الثاني وعداً راسخاً لرئيس أساقفة صور بشأن اعتزامه الرحيل إلى الشرق على رأس حملة صليبية. وقدم الوعد نفسه مرة ثانية لمبعوث البابا فى أفرانشيس Avranches عام 1172م. وذلك تكفيراً عن توبته وندمه بصدد مسؤوليته فى اغتيال توماس بيكيت رئيس أساقفة كانتربري, ووعد أيضاً فى ضوء اتفاقية أفرانشيس بالقسم على اتخاذه الصليب فى عيد الميلاد التالي أي عام 1173م, والرحيل فى صيف العام التالي أي فى بداية حكم الملك بلدوين الرابع. انظر: زينب عبد القوي: الإنجليز والحروب الصليبية, ص100-101.

(99)نفسه, ص100.

كان الملك هنري الثاني منهمكاً خلال ذلك الوقت بعدة مشاكل, ربما كانت السبب فى عدم خروجه على رأس حملة صليبية إلى القدس خلال عهد الملك بلدوين الرابع, من بين تلك المشكلات, انشغال الملك هنري الثاني بمقاومة الهجمات الإسلامية فى أسبانيا, ولعل حملته الاسبانية هذه كانت السبب الشرعي لتأجيل حملاته لمساندة مملكة بيت المقدس, بالإضافة إلى ذلك انشغل هنري الثاني بنزاعه ضد أبنائه وضد لويس السابع. انظر :

Mayer, Henry II, pp. 721-723.

(100)زينب عبد القوي: المرجع السابق, ص99 .

(101)رنسمان: تاريخ الحروب الصليبية، مج2، ص668-669.

(102)عن تفاصيل معادة إفري Ivry التي تمت بين هنري الثاني ولويس السابع. انظر :

The Annals of Roger de Hoveden, vol. I, pp. 463-465.

(103)زينب عبد القوي: المرجع السابق, ص101.

وانظر : Tyerman, England and the Crusades, p.44

(104) كان هنري الثاني وأبنائه يحكمون معظم دوقيات فرنسا مثل دوقيات نورماندي, بريتاني, أكوتين, وكونتيات مين Maino , أنجو Anjou, لامارش La March, بواتو Poitou. انظر: زينب عبد القوي: الإنجليز والحروب الصليبية, ص101

(105) زينب عبد القوي: المرجع السابق, ص102.

(106)The Annals of Roger de Hoveden, vol. I, p.464

(107) زينب عبد القوي: المرجع السابق, ص103.

(108)Balduini IV, Regis Jerosolymitani, ad Partes Occidentales Profectos ad Perquirendum anxilium christianis Terrae Sanctae, de Statu Terrae Sanctae, 1184, in R.H.G.F., t. XVII (Paris 1778), p.624 .

(109) Balduini IV, Regis Jerosolymitani, ad Partes Occidentales Profectos ad Perquirendum anxilium christianis Terrae Sanctae, de Statu Terrae Sanctae, 1184, in R.H.G.F., t. XVII (Paris 1778), p.624. ; Mayer , Henry II, pp.731-732 .

(110)زينب عبد القوي: الإنجليز والحروب الصليبية, ص106 .

(111)عن تفاصيل ضريبة عام 1184م التى أصدرها الملك هنري الثاني من أجل مساعدة مملكة بيت المقدس. انظر :

Lunt (W.E.), "The Text of the Ordinance of 1184 Concerning an Aid for the Holy Land", E.H.R., Vol. 37, No. 164 (Apr., 1922), pp.235-242.

(112) Tyerman, England and the Crusades, p.36.

(113) Ibid, p. 36.

(114) محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية, ص356.

(115) Hamilton , The Leper King, p.75.

(116) إسحق عبيد: روما وبيزنطة, ص234.

(117) محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية, ص356-357.

(118) Wieruszowski , The Norman Kingdom of Sicily and the Crusades, in: Setton, vol. II, pp. 34-35. See also: Graham A. Loud: "Norman and the Holy Land in: The Horns of Hattin, ed. Kedar, Israel –Exploration Society, Jerusalem, Variorum. London 1992, p. 51 ; Richard (J.), Le Royaume Latin de Jérusalem , p. 55.

(119)ذكرت المصادر الإسلامية أن هذا الأسطول كان يتكون من مائتي سفينة تحمل كل سفينة مائة وخمسون من المشاة وستة وثلاثين مركبا تحمل الخيل, وأربعون مركبًا تحمل الأزواد, وست سفن تحمل آلات الحصار والحرب, وقد قدرت أحد هذه المصادر عدد المقاتلين بثلاثين ألفاً بخلاف صناع المراكب ومتولي أبراج الزحف والدبابات والمنجنيقات. انظر: أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية, تحقيق إبراهيم الزيبق, ط.1, مؤسسة الرسالة , بيروت 1997م, جـ2, ص334-335؛ ابن الأثير: الكامل, مج11, ص412-414؛ ابن شداد: النوادر السلطانية, ص48-49؛ ابن واصل: مفرج الكروب, جـ2, ص11-15؛ المقريزي: السلوك, جـ1, ص58.

(120)وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص176-177.

(121)رانسمان: تاريخ الحروب الصليبية, مج2, ص650. وانظر أيضاً:
Grousset, Histoire de Croisades, Vol. II , pp. 617-618.
ذكر ابن الأثير أن هذا الأسطول كان بقيادة ابن عم ملك صقلية. ربما يقصد به الكونت تانكرد. انظر: الكامل, م ج11, ص412 .

(122) ابن الأثير: الكامل, مج11, ص412-413. وانظر أيضاً: نيكيتا أليسيف: السلطان نور الدين, ص400-402؛ صلاح الدين البحيرى: " المخابرات الإسلامية فى مواجهة الصليبيين", ص36.

(123)Richard (J.), Le Royaume Latin de Jérusalem, p. 55; Hamilton , The Leper King, p. 87

(124) كان صلاح الدين فى ذلك التوقيت مشغولاً بثورة فى صعيد مصر بزعامة رجل يدعي كنز الدولة. عن هذه الثورة بالتفصيل. راجع: أبو شامة: الروضتين, جـ2, ص337-

339؛ ابـن الأثـير: الكامـل, مـج11, ص414؛ ابـن شـداد: النـوادر السـلطانية, ص47-48.وانظر: Reinaud (M.), La Vie De Saladin, pp.9-10.

(125) وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص177.

(126)Graham A. Loud, Norman Italy, In: H.H., p.51. Helene Wieruszowski, The Norman Kingdom of Sicily and the Crusades, in: Setton , vol. II, pp. 34-36 ; Grousset, Histoire de Croisades, Vol. II , pp. 618-619; Archer and Kingsford, The Crusades, p. 248 .

(126)مالكوم ليونز وديفيد جاكسون: صلاح الدين, ص139-143 .

(127)مدينة تنيس: مدينة مصرية تقع غرب دلتا النيل, وكانت من المراكز التجارية الهامة في مصر. انظر: المقريزي: الخطط, جـ1, ص291-292.

(128) Wieruszowski, The Norman Kingdom of Sicily and the Crusades, in: Setton, vol. II, p. 36.

وانظر للمزيد: المقريزي: الخطط, جـ1, ص291-292.

(129) Wieruszowski, op. cit., vol. II, p. 36.

Wieruszowski, The Norman Kingdom of Sicily and the Crusades, in: Setton, vol. II, p. 36.

(130) Ernoul, Le Chronique, pp.53-54.

(131) Ernoul, op. cit., p.54.

(132)وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص237 .

(133)نفسه, جـ4, ص237. وانظر أيضاً :

Ernoul, Le Chronique, p. 54.

(134)وليم الصوري: المصدر السابق, جـ4, ص237.

(135)ابن الأثير: الكامل، جـ11، ص144؛ ابن واصل: مفرج الكروب, جـ2, ص64؛ ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب, تحقيق سامي الدهان, دمشق 1967م , جـ3, ص36. وانظر : Ernoul, op. cit., p. 32

(136) الحروب الصليبية, جـ4, ص200.

(137) Mayer, Henry II, p. 725.

هنا يجب التذكير بأن الملك بلدوين الرابع كان مريضا بالجذام, وفي مثل ظروفه يمكن وضع المراهنات على حملة هنري الصليبية, ليحل محل الملك المجذوم, أو يخلفه في حالة وفاته. وهذه كانت لعبة سياسية مفضلة في الشرق, وكذلك في أوربا لسنوات عديدة. أنظر:

Mayer, op. cit., p. 725-726.

(138) The Annals of Roger de Hoveden, vol. I, p.438.

(139) كانت آخر مرة قدم فيها فيليب كونت فلاندرز الى مملكة بيت المقدس بعد سقوط حارم في يد نور الدين محمود في الحادي عشر من أغسطس سنة 1165م وذلك من أجل مساعدة الملك عموري الأول في سترجاع حارم, لكن الجهود التي بذلت من أجل ذلك لقت الفشل الذريع وعلى إثرها عاد كونت فلاندرز بحملته الى بلاده. انظر: محمود سعيد عمران: معركة حارم "التحالف البيزنطي الصليبي الأرميني ضد نور الدين", مجلة المؤرخ العربي, العدد الثامن, بغداد, ص91.

(140) Hamilton, The Leper King, p. 119.

(141)وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص200. وأنظر :

Ernoul, Le Chronique, p. 32.

(142) Archer and Kingsford, The Crusades, p.254.

(143)وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص200-201, 205. وانظر :

Grousset, Histoire de Croisades , Vol. II , pp. 654-655.

(144)وليم الصوري: المصدر السابق, جـ4, ص201.

(145) Ernoul, op. cit., pp. 33- 34.

(146)وليم الصوري: المصدر السابق, جـ4, ص206؛ حسن عبد الوهاب حسين: " أثر العوامل الجغرافية على الحروب الصليبية منذ الحملة الأولي حتى معركة حطين (1097-1187م/490-583هـ), ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية 1997م, ص309. وانظر:

Gibb (H.), "The Rise of Saladin,", in Setton, Vol. I, p. 571; Baldwin, "The Decline", Vol. I, pp.594- 595.

(147) وليم الصوري: المصدر السابق, جـ4, ص206.

(148)وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص207.

(149) حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص180-181.

(150)حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص182-183.
(151)مالكوم ليونز وديفيد جاكسون: صلاح الدين, ص154-155.
(152)ابن الأثير: الكامل, جـ11, ص202.
(153)حسين عطية: المرجع السابق, ص183 .
(154)ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني, جـ3, ص340.
(155)ابن العديم: زبدة الحلب, جـ3, ص34-35.
(156)ابن شداد: النوادر السلطانية, ص53؛ أبو شامه: الروضتين, جـ2, ص469.
(157) ابن الأثير: الكامل, جـ11, ص202؛ حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص183-184.
(158)حسين عطية: المرجع السابق, ص184.
(159)وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص210.
(160)نفسه, جـ4, ص210-211.
(161) ابن العديم: زبدة الحلب, جـ3, ص35.
(162)ابن الأثير: الكامل, جـ11,ص201؛ ابن العديم: المصدر السابق, جـ3, ص26؛ ابن واصل: مفرج الكروب, جـ2, ص26؛ المقريزي: السلوك, جـ1, ص65.
(163)مالكوم ليونز وديفيد جاكسون: صلاح الدين, ص155 .
(164)نفسه, ص155.
(165)كان قد تم الاتفاق في أنطاكية بخروج الحملة الفلمنكية الى حارم على أن يلحق بها بوهيموند الثالث بالقرب من حارم. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص211-212.
(166)ابن العديم: المصدر السابق, جـ3, ص25-26.
(167)أبو شامه: الروضتين, جـ2, ص470.
(168)ابن العديم: المصدر السابق, جـ3, ص36؛ ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني, جـ3, ص340 .
(169)ناقش الأستاذ الدكتور حسين عطية آراء المؤرخين في تحديد بدء حصار الحملة الفلمنكية لحارم. انظر: حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص185.

(170) وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص212.
(171)ابن العديم: زبدة الحلب, جـ3, ص36.
(172)وليم الصوري: المصدر السابق, جـ4, ص212؛ ابن العديم: المصدر السابق, جـ3, ص36؛ حسين عطية: المرجع السابق, ص185.
(173)ابن العديم: المصدر السابق, جـ3, ص37 .
(174)وليم الصوري: المصدر السابق, جـ4, ص224.
(175)ابن العديم: المصدر السابق, جـ3, ص37.
(176)وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص224؛ ابن العديم: زبدة الحلب, جـ3, ص37؛ حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص186.
(177)أبو شامة: الروضتين, ج2, ص471.
(178) ابن العديم: المصدر السابق, جـ3, ص37-38.
مالكوم ليونز وديفيد جاكسون: صلاح الدين , ص156.
(179)أبو شامة: المصدر السابق, جـ2, ص471؛ ابن العديم: المصدر السابق, جـ3, ص37-38؛ حسين عطية: المرجع السابق, ص186-187.
(180)Grousset, Histoire de Croisades , Vol. II , pp. 646.
(181)ابن الأثير: الكامل, جـ11,ص201.
(182) حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص189-190.
(183)باركر: الحروب الصليبية, ص53.
(184) وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج4, ص181؛ السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي, ط. الإسكندرية 1966م, ص157.
(185) عنها أنظر: محمد مؤنسعوض، صلاح الدين الأيوبي – الإعاقة – الكاريزما – المرض،ط. القاهرة 2014م .
(186) Gordon H. Pirie, "The Reigning Princes of Galilee", E.H.R., Vol. 27, No. 107 (Jul., 1912), p. 455.
(187) Rey, Les Colonies, p. 375 ; Baldwin, Raymond III of Tripolis , p. 17.
(188) Gordon, op. cit., p.

(189) Baldwin, Raymond III of Tripolis , p. 29

(190) وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص194-195. وانظر أيضاً:
Richard (J.) , Le Royaume Latin de Jérusalem, p. 55.

(191) رانسمان: تاريخ الحروب الصليبية, مج2, ص662؛ ملكوم كامرون ليونز وديفيد جاكسون: صلاح الدين, ص98. وأيضاً انظر :
Grousset, Histoire des Croisades, Vol. II , p. 632-633; Richard (J.), Le Royaume Latin de Jérusalem p. 55

(192) Gordon, "The Reigning Princes of Galilee", E.H.R., p. 456; La Monte, Feudal Monarchy, p. 28.

(193) وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص253.

(194)Gordon, op. cit., p. 456

(195) Ernoul, Le Chronique, pp. 51-52; Felix Fabri, the Book of the Wanderings, p. 626 Michaud, Histoire des Croisades, Vol. II, p. 251.; Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem , pp. 138-139.

(196) ابن الأثير: الكامل, جـ11, ص210.

(197) Gordon, "The Reigning Princes of Galilee", E.H.R., p. 456.

(198)وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص271.

(199) Baldwin, "The Decline and Fall of the Jerusalem", Vol. I, p. 598.

(200)وليم الصوري: المصدر السابق, جـ4, ص272.

(201) نفسه, جـ4, ص272.

(202) نفسه, جـ4, ص272.

(203) رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية, مج2, ق2, ص688.

(204) وليم الصوري: المصدر السابق, جـ4, ص332. انظر:
Gordon, "The Reigning Princes of Galilee", E.H.R., p. 457 .

(205) Grousset, Histoire des croisades, vol., II, pp. 612-613; Hamilton, The Leper King, p. 89.

(206)Grousset, op. cit., vol., II, pp. 612-613; Hamilton, op. cit., p. 89 .

(207) حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص197-198.

(208) سيبل: شقيقة زوجة صاحب حصن بزرية, والذي يقع على بعد خمسة وأربعين كيلو مترا شرقي اللاذقية, وكانت سيبيل هي ثالث امرأة يرتبط بها بوهيموند الثالث. فقد تزوج من قبل عام 1170م من أورجو جليوزا Orgogliosa ابنة وليم فرزنل W. Fresnel سيد حارم في ذلك الوقت, ثم تزوج في سنة 1175م من ثيودورا كومنين. انظر: حسين عطية: المرجع السابق, ص198.

(209)ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني, جـ3, ص352.

(210)ابن الأثير: الكامل, جـ12, ص8؛ حسين عطية: المرجع السابق, ص198 .

(211)وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص263-264.

(212)ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني, جـ3, ص352.

(213)حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص199.

(214) وليم الصوري: المصدر السابق, جـ4, ص265.

(215)نفسه, جـ4, ص265؛ ميخائيل السرياني: المصدر السابق, جـ3, ص352؛ حسين عطية: المرجع السابق, ص199.

(216)وليم الصوري: المصدر السابق, جـ4, ص266-267.

(217)وليم الصوري: الحروب الصليبية, جـ4, ص266.

(89)نفسه, جـ4, ص266-267؛ ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني, جـ3, ص352.

(219) روبين الثالث: صاحب أرمينية الصغرى التي تأسست في جبال طوروس تقريبا 1071م على يد روبين الأول. انظر: وليم الصوري: المصدر السابق, جـ4, ص337, هامش19.